التوكيد بالجملة الاسمية

دراسة بلاغية

د . بلقيس بنت محمد الطيب إدريس
كلية التربية للبنات بالمدينة المنورة

التوكيد بالجملة الاسمية
دراسة بلاغية

د . بلقيس بنت محمد الطيب إدريس
كلية التربية للبنات بالمدينة المنورة

ملخص البحث :

تعددت مواقف البلاغيين من الجملة الاسمية من حيث دلالتها على التوكيد وعدمه ؛ فبعضهم لم يتطرق لهذا الأمر ، وبعضهم أشار إلى دلالتها على التوكيد صراحة أو من خلال تحليله بعض الشواهد البلاغية ، وبعضهم أنكر دلالتها على التوكيد . ويعود سبب اختيار هذا الموضوع إلى أمرين : الأول : ما وجدته من اختلاف البلاغيين في تحليلهم بعض الشواهد البلاغية والحكم على الخبر بأنه ابتدائي أو طلبي بالنظر إلى عدِّ الجملة الاسمية مؤكداً أو عدم عدِّها . الثاني : عدم وجود قول مقنع في هذه المسألة من كون الجملة الاسمية مؤكدة أم لا . فجاء هذا البحث ليجيب عن التساؤلات الآتية : هل الجملة الاسمية مؤكدة ؟ وإذا كانت مؤكدة فما السر في توكيدها ؟ وهل لدلالة الجملة الاسمية مدخل في ذلك ؟ ولم كانت أقوى من الفعلية في الدلالة ؟ و متى تكون الجملة الاسمية مؤكدة ؟ كما اقتضى الأمر كذلك تدعيم البحث بدراسة نصية تطبيقية تكشف عن إفادة الجملة الاسمية التوكيد وأثرها في تحقيق الجمال الفني للنص .

مقدمة :

الحمد لله الذي خلق الإنسان ، علمه البيان ، والصلاة والسلام على إمام الهدى والبيان ، نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان ، أما بعد :

فإن تنوع أساليب الكلام وتعدد فنونه مما يدل على ثراء اللغة وقدرتها على التعبير عن المواقف المختلفة للحياة والأحوال المتباينة للناس ، ولكل أسلوب قيمته الفنية التي تبين عن جمال الكلام ، وتكشف عن قوة تأثيره في النفوس، فالنفس البشرية تتجاذبها حالات مختلفة من الجهل والشك والتردد والإنكار، مما يستدعي لكل حالة أسلوباً يلائمها ، ويبرز - هاهنا - دور الجملة الاسمية في هذا المضمار ، وما تحققه من التأثير في النفس من خلال دلالتها على التوكيد .

أما دلالتها على التوكيد أهي بالأصالة أم بالتبعية ، فهذا موضوع البحث .

ويعود سبب اختيار هذا الموضوع إلى أمرين :

الأول : ما وجدته من اختلاف البلاغيين في تحليلهم بعض الشواهد البلاغية والحكم على الخبر بأنه ابتدائي أو طلبي بالنظر إلى عدِّ الجملة الاسمية أو عدم عدِّها مؤكداً .

الثاني : عدم وجود قول مقنع في هذه المسألة من كون الجملة الاسمية مؤكدة أم لا .

فقد تعددت مواقف البلاغيين من الجملة الاسمية من حيث دلالتها على التوكيد وعدمه ؛ فبعضهم لم يتطرق لهذا الأمر ، وبعضهم أشار إلى دلالتها على التوكيد صراحة أو من خلال تحليله بعض الشواهد البلاغية ، وبعضهم أنكر دلالتها على التوكيد .

فجاء هذا البحث ليجيب عن التساؤلات الآتية :

١- هل الجملة الاسمية مؤكدة ؟

٢- وإذا كانت مؤكدة فما السر في توكيدها ؟

٣- وهل لدلالة الجملة الاسمية مدخل في ذلك ؟ ولم كانت أقوى من الفعلية في الدلالة ؟

٤- متى تكون الجملة الاسمية مؤكدة ؟

كما اقتضى الأمر كذلك تدعيم البحث بدراسة نصية تطبيقية تكشف عن إفادة الجملة الاسمية التوكيد وأثرها في تحقيق الجمال الفني للنص .

وقد جاءت خطة البحث في تمهيد وفصلين وخاتمة :

التمهيد ، واشتمل على معنى التوكيد وأهميته ، والتوكيد عند النحويين والبلاغيين .

الفصل الأول : التوكيد بالجملة الاسمية عند البلاغيين ، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : المثبتون .

المبحث الثاني : النافون .

المبحث الثالث : ضوابط التوكيد بالجملة الاسمية .

الفصل الثاني : دراسة تطبيقية من الحديث النبوي .

الخاتمة ، واشتملت على نتائج البحث .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

* * *

تمهيد :معنى التوكيد وأهميته :

جاء في (القاموس) : " وَكَدَ يَكِدُ وُكُوداً : أقام ، وقصد ، وأصاب ، ... وَكَد الرَّحْل :

شدَّه ، والوكائد : سُيورٌ يُشَدُّ بها ... "[١] .

(١)القاموس المحيط للفيروزأبادي /٤١٧ مادة (وك د) .

نجد في هذه الدلالات الحسية لمادة (وكد) ما يفيد معنى الثبوت ، والتقوية ، والإحكام .

ولعل هذا أدى إلى انتقال تلك الدلالة الحسية إلى الدلالة المعنوية كتوكيد العَقْد وتوكيد القول والفعل ، يقال : " وكَّدت القول والفعل وأكَّدته : أحكمته" (١) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا** ﴾ [النحل : ٩١] ، " أي : تقويتها وإحكامها "(٢) .

ومنه جاء التوكيد الاصطلاحي ، وهو -كما عرَّفه يحيى بن حمزة العلوي - (ت ٧٤٩ هـ) " تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره " (٣).

وعرَّفه أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ) بقوله : " هو أن يكون اللفظ لتقرير المعنى الحاصل قبله وتقويته" (٤).

وربما كان في هذه الدلالة ما يشي بوجود علاقة بين التوكيد وبين الجملة الاسمية ، وسيتضح هذا أكثر حين نناقش دلالة الجملة الاسمية .

أما أهمية التوكيد فهي _كما تبدو من معناه الاصطلاحي _ تقوية المعنى ، وترسيخه في النفس ، ودفع كل شبهة قد ترد على الكلام ، قال موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش (ت٦٤٣ هـ) : " وجدوى التوكيد أنك إذا كرَّرت فقد كرَّرت المؤكد وما علق به في نفس السامع ومكَّنته في قلبه وأمَطْتَ شبهة ربما خالجته أو توهمت غفلة وذهاباً عما أنت بصدده فأزلته "(٥) .

ويؤكد العلوي هذا المعنى بقوله : " وفائدته [أي التوكيد] إزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدده" (٦).

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني / ٥٣١ مادة (و ك د) .
(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ٤ / ٣٨٦ مادة (و ك د) .
(٣) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي ٢ / ١٧٦ .
(٤) الكليات للكفوي/ ٢٦٩ .
(٥) شرح المفصل لابن يعيش٣ / ٤٠ .
(٦) الطراز ٢ / ١٧٦ .

وحيث إن غاية المتكلم إيصال رسالته إلى السامع في دقة وبيان ، فإن مما يعينه على ذلك أسلوب التوكيد الذي يزيل من النفس كل شبهة أو احتمالا للشك والتردد ، أو الإنكار ،أو التجوز .

التوكيد عند النحويين والبلاغيين :

ذكر النحويون نوعين للتوكيد هما : التوكيد اللفظي ، والمعنوي . والتوكيد اللفظي يأتي في الألفاظ كلها : اسما أو فعلا أو حرفا أو جملة . أما المعنوي فله ألفاظ محددة ذكرها النحويون مثل : نفسه ، وعينه ... إلخ [١] .

ومن هاهنا فإن للتوكيد أربعة طرق :

١- التكرار ، ومنه التوكيد اللفظي والمعنوي .

٢- التوكيد بالأداة .

٣ - التوكيد بحروف الزيادة .

٤ - التوكيد بغير أداة كالتقديم والتأخير ، وأسلوب القسم [٢].

أما البلاغيون فكانوا أكثر تركيزاً على بعض صور الطريق الأول ؛ إذ جعلوا التكرار على نوعين : تكرار في اللفظ والمعنى ، وتكرار في المعنى دون اللفظ [٣]، كما تناولوا - أيضاً - طريق التقديم والتأخير ؛ لأن بعض مواضعه تفيد التوكيد .

ولقد كانت عناية النحويين كبيرة بتوكيد المفرد وخاصة التوكيد اللفظي والمعنوي ، أما البلاغيون فإنهم - علاوة على ذلك - كانوا أكثر اهتماماً بدراسة توكيد الحكم (أو الإسناد) ، إذ التوكيد عندهم " تأكيد لمضمون الخبر، وهو الحكم بالنسبة أو ثبوتها ... ، لا تأكيد المسند وحده ولا المسند إليه "[٤]؛ لأنه لا يلزم من توكيد واحد من طرفي الإسناد توكيد النسبة ، وهو أقوى من توكيد أحد الطرفين ، ولذلك كان

---

(١) ينظر : شرح الرضي على الكافية ٢ / ٣٦٣ .

(٢) ينظر : أسلوب التوكيد في القرآن الكريم لمحمد أبي الفتوح/ ١٥ .

(٢) ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين بن الأثير ٣ / ٧ .

(٤) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين السبكي (ضمن شروح التلخيص) ١/ ٢١٩ .

مجال عناية البلاغيين به ، كما أن لهذا النوع من التوكيد أثره في تحقيق الجمال الفني للنص .

* * *

الفصل الأول: التوكيد بالجملة الاسمية عند البلاغيين :

توطئة :

من سمات الكلام البليغ أن يكون موافقاً لمقتضى الحال ، ولكي يكون كذلك ويؤثر في النفس والعقل فإن هناك اعتبارات ثلاثة ينبغي للمتكلم أن يراعيها في كلامه ويتخير بسببها الأسلوب الملائم ، وهذه الاعتبارات هي : المتكلم ، والمخاطب ، والموضوع أو الموقف ؛ فامتلاء نفس المتكلم بشحنة من المشاعر أو الأحاسيس تجاه حدث أو أمر ما يجعله يفرغ هذه الشحنة الشعورية في قالب من الصور والأساليب المعبرة عما في نفسه ، على نحو ما نجد في مناجاة زكريا عليه السلام لربه عز وجل في قوله : ﴿ **رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا** ﴾ [مريم : ٤] ، هذا الأسلوب القوي المؤطر بالتوكيد حين يتوجه به زكريا عليه السلام لربه العليم بحاله يفصح عن نفس تستشعر الضعف والوهن عند دنوِّ الأجل وقرب الرحيل وما من وريث يحمل عنه عبء الدعوة إلى الله تعال ، فكان هذا الدعاء الخاشع من نفس ضارعة : ﴿ **فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ** ﴾ [مريم : ٥ ـ ٦].

ومن جانب آخر فإن الإنسان اجتماعي بطبعه ، يعيش في مجتمع يحتاج فيه إلى التواصل بين أفراده لتحقيق مطالبه وغاياته، ومن ثم فلابد له من اللغة المعبرة أداة التواصل الاجتماعي ، وعليه أن يراعي حال من يخاطبه لاستمالته أو إقناعه والتأثير فيه ، وهنا يختلف الأسلوب من مخاطب لآخر حسب حاله .

كما أن لسياق المقام أو الموقف أهمية لا ينبغي إغفالها، فالمتكلم حين يتحدث في موضوع له وزن وقيمة ، ويقوم في مقام له جلال وخطر فإنه يحتشد له ويتخير له من الأساليب التي قد لا يقيم معها وزنًا لحال المخاطب ، فالموضوع خطير عليه أن يعنى به .

ولهذا فإن البلاغيين عند ما تحدثوا عن مقتضى الحال ذكروا أن المقامات متفاوتة ، ولكل منها خطاب يناسبه ، "فمقام التشكر يباين مقام الشكاية ، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ، ومقام المدح يباين مقام الذم ، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل ،وكذا مقام بناء الكلام ابتداء يغاير مقام بناء الكلام على الاستخبار أو الإنكار ، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار؛... وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي ، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر . ثم إذا شرعت في الكلام ، فلكل كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام "[١].

والعبارة السابقة ذكرها أبو يعقوب يوسف بن محمد السكاكي (ت ٦٣٦ هـ) ، وتضمنت الاعتبارات الثلاثة التي تتحقق بها مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، " ومعنى مطابقته له أن الحال إن اقتضى التأكيد كان الكلام مؤكدًا ، وإن اقتضى الإطلاق كان عاريًا عن التأكيد ، وهكذا إن اقتضى حذف المسند إليه حُذف ، وإن اقتضى ذكره ذُكر... إلى غير ذلك "[٢] وهو ما تدعو إليه النظرية السياقية الحديثة ، حين جعلت سياق المقام أو الموقف بما يحويه من متحدِّث ومتحدَّث إليه عنصرًا مهمًا من عناصر التحليل اللغوي الدلالي [٣]، وهو مما سبق إليه اللغويون العرب [٤]، بل إنهم انفردوا بالسبق إلى رعاية حال المخاطب وجعله محورًا للدراسة البلاغية[٥] ، وذلك أنهم جعلوا للمخاطب أحوالا ثلاثة :

(١) مفتاح العلوم للسكاكي / ١٦٨ .
(٢) المطول في شرح تلخيص المفتاح لسعد الدين التفتازاني / ٢٥ .
(٣) ينظر : دلالة السياق بين علم التراث وعلم اللغة الحديث لعبد الفتاح عبد العليم البركاوي /٥١ .
(٤) ينظر المرجع السابق ٥٨ _ ٦١ .
(٥) ينظر : المرجع السابق / ٢١٤ .

١ - أن يكون المخاطب جاهلا بمضمون الخبر الذي يُلقى إليه .
٢ - أ ن يكون شاكًّا أو متردداً في قبول الخبر .
٣ - أن يكون منكِراً للخبر جاحداً له .

وبناء على ذلك فإن للكلام ثلاثة أنواع أو كما سمَّاها المتأخرون (أضرب الخبر) مراعاة لحال المخاطب ، ففي الحالة الأولى يُقدَّم للمخاطب خبرا غُفْلا عن التوكيد ويسمَّى (خبراً ابتدائياً) ، وفي الحالة الثانية يُستحسن توكيد الخبر له لإزالة شكّه وتردده ، وهذا هو (الخبرالطلبي) ، أما في الحالة الثالثة فيجب توكيد الخبر له بعدد من المؤكدات تختلف قوة وضعفاً حسب درجة إنكاره ، ويسمَّى الخبر في هذه الحالة (خبراً إنكاريا) [١].

وتوكيد الخبر - في هذه الأحوال - هو من قبيل توكيد الحكم أو الإسناد . ومؤكدات الحكم كثيرة مبسوطة في كتب البلاغة[٢] ، ومنها : اسمية الجملة موضع الدراسة .

وقد اختلف البلاغيون حول إفادة الجملة الاسمية التوكيد ؛ فمنهم من عدَّها مؤكدة ، ومنهم من نفى ذلك ، حسبما يتضح في المبحثين الآتيين .

(١) ينظر : الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ١ / ٦٩ _ ٧١ .
(٢) ينظر مثلا : حاشية الدسوقي على شرح السعد (ضمن شروح التلخيص) ١/ ٢٠٤ .

المبحث الأول:المثبتون :

من البلاغيين من ذكر الجملة الاسمية ضمن مؤكدات الحكم ، ومنهم من أشار إليها خلال تحليله بعض الشواهد البلاغية .

فمن الفريق الأول: القاضي أبو عبد الله محمد بن محمد التنوخي (ت ٦٩٨ هـ) [١] وسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ) [٢]، و المولى عصام الدين إبراهيم بن عربشاه الإسفراييني(ت ٩٤٣ هـ) [٣]، وعبد الرحمن بن عيسى بن مرشد المرشدي (ت ١٠٣٧ هـ) [٤]، ومحمد بن عرفة الدسوقي (ت ١٢٣٠ هـ) [٥]. ومن المحدثين : السيد أحمد الهاشمي [٦]، ومصطفى الصاوي الجويني [٧]، ومحمد عبد المنعم خفاجي [٨]، وعبد الفتاح لاشين [٩]، وعبد القادر حسين [١٠]، وتمام حسان [١١]، ومحمد أبو الفتوح [١٢].

أما الفريق الآخر فمنهم: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) [١٣]

---

(١) ينظر : الأقصى القريب في علم البيان /٩٩ .
(٢) ينظر : المطول/ ٤٧ .
(٣) ينظر : الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ١ / ٢٣٦ .
(٤) ينظر : شرح عقود الجمان في المعاني والبيان للمرشدي ١ / ٤٢ .
(٥) ينظر : حاشية الدسوقي ١ / ٢٠٤ .
(٦) ينظر : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع / ٣٨ .
(٧) ينظر : البلاغة والنقد بين التاريخ والفن /١٩٦ .
(٨) ينظر : الإيضاح حاشية١ / ٧٠ .
(٩) ينظر : المعاني في ضوء أساليب القرآن/ ٢٠٥ .
(١٠) ينظر : فن البلاغة /٨٥ .
(١١) ينظر : الأصول دراسة ابيستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي /١٤٦ .
(١٢) ينظر: أسلوب التوكيد/ ٢٧٤ .
(١٣) ينظر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ١ / ١٨٥ ـ ١٨٦ .

و السكاكي[١]، وضياء الدين محمد بن محمد بن الأثير (ت ٦٣٧ هـ هـ) [٢]، و ناصر الدين أحمد بن المنيِّر الإسكندري (ت ٦٨٣ هـ) في أحد قوليه [٣] ، و علاء الدين علي بن أبي الحزم المعروف بابن النفيس (ت ٦٨٧ هـ) [٤]، وجلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) [٥]، والعلوي[٦]، وبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) [٧]، والسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ) [٨]، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) [٩]، وأحمد بن محمد بن يعقوب المغربي (ت ١١٢٨ هـ) [١٠]. ومن المحدثين : عبد المتعال الصعيدي [١١]، ومحمد الطاهر بن عاشور [١٢]، ومحمد أبو موسى [١٣]، وعبد العزيز عرفة [١٤]، ونزيه فرج [١٥]وغيرهم .

وقد استند المثبتون لتوكيد الجملة الاسمية إلى دلالة الاسم على الثبوت بخلاف الفعل الذي يفيد التجدد والحدوث ، قال عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت٤٧١هـ) مبينًا دلالتيهما : " موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدُّده شيئًا

(١) ينظر : مفتاح العلوم / ١٦٧ ، ٢١٨ ، ٢٩٦ .
(٢) ينظر : المثل السائر ٢ / ٢٦٩ ـ ٢٧١ .
(٣) ينظر : الإنصاف على هامش الكشاف ١ / ١٨٥ ، وله رأي آخر ذكره الزركشي في (البرهان) ينفي فيه دلالة الجملة الاسمية على التوكيد ، وسيأتي .
(٤) ينظر : عروس الأفراح ١ / ٢٢٠ نقلاً عن : (طريق الفصاحة) ، وهو من الكتب المفقودة ألفه ابن النفيس الطبيب، ذكره صاحبا كشف الظنون وهدية العارفين . ينظر : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١ / ١١١٤ ، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ١ / ٧١٤ .
(٥) ينظر : الإيضاح ١ / ٦٠ .
(٦) ينظر : الطراز ٢ / ٢٧ .
(٧) ينظر : البرهان في علوم القرآن ٤ / ٦١ .
(٨) ينظر : حاشية الشريف الجرجاني على الكشاف ١ / ١٨٥.
(٩) ينظر :الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٣١٦ ـ ٣١٨ وشرح عقود الجمان / ١١ .
(١٠) ينظر : مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح (ضمن شروح التلخيص) ١ / ٢٠٦ .
(١١) ينظر : بغية الإيضاح ١ / ٣٥ حاشية(٥) .
(١٢) ينظر : تفسير التحرير والتنوير ١ / ٢٨٥ .
(١٣) ينظر : خصائص التراكيب / ٤٩ .
(١٤) ينظر : من بلاغة النظم العربي ١ / ٨٢ ، ٨٦ .
(١٥) ينظر : نقد كتاب التنبيهات/ ٩١ .

بعد شيء ، وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدُّد المعنى المثبَت به شيئًا بعد شيء "[١].

وهذا ما توضحه عبارة ابن النفيس حين قال : " الجملة الاسمية كقولنا : (زيد قائم) تدل على ثبوت القيام بالمطابقة، فهي أدل من الفعلية مثل :(قام زيد) إذ (قام) يدل على القيام بالتضمن ، فلذلك كانت الاسمية أقوى من الفعلية " [٢]. ولهذا قال المرشدي معللاً : " لأن لأن بناء مؤكديتها [٣] على إفادة الدوام والثبات " [٤] ، وقال عبد الواحد الواحد بن عبد الكريم بن الزملكاني (ت ٦٥١ هـ) : " وما هو ثابت مطلقاً أبلغ مما يعرض له الثبوت في بعض الأحوال " [٥].

وخصص بعض البلاغيين دلالة الاسمية على الثبوت بالجملة التي في خبرها اسم ، ومنهم : السكاكي [٦]، والكاشي [٧]، والسعد التفتازاني التفتازاني [٨]. وقد علَّل الكاشي نفي إفادة الجملة الاسمية ذات المسند الفعلي الثبوت " لئلا يقع التناقض في مثل : (زيد قام) ، فإنها تقتضي الثبوت من حيث صدرها ، والتجدُّد من حيث عجزها "[٩].

وردَّ عليه بهاء الدين أحمد بن علي السبكي (ت ٧٧٣ هـ) بأن قولك : " (زيد قام) دل على ثبوت نسبة القيام المتجدد ، فالقيام متجدد ، وحصوله لزيد ووصفه به ثابت مستقر ، ولا بدع في ذلك ؛ فربما كان الفعل المتجدد لشدة لزومه ودوامه أو شرفه في نفسه يجعل لفاعله صفة ثابتة مستقرة " [١٠].

---

(١) دلائل الإعجاز / ١٨٢ .
(٢) عروس الأفراح ١ / ٢٢٠ نقلا عن : طريق الفصاحة .
(٣) في الأصل (مؤكديها) ، والصواب ما أثبت .
(٤) شرح عقود الجمان/ ٤٢ .
(٥) التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن /٥١ .
(٦) ينظر : المفتاح / ٢١٨ .
(٧) ينظر : شرح عقود الجمان للسيوطي/ ٣٢ .
(٨) ينظر : المطول / ١٨٨ .
(٩) شرح عقود الجمان للسيوطي / ٣٢ .
(١٠) عروس الأفراح ٢ / ٣١ .

وبهذا القول يمكن أن نردَّ على السبكي نفسه الذي ردَّ شاهد البلاغيين في قوله تعالى : ﴿ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ [الكهف : ١٨] ونفى فيه دلالة الاسم على الثبوت ؛ " لأن الاسم إذا عمل صار كالفعل يدل على التجدُّد لا على الثبوت " (١).

وقد ذكر أكمل الدين محمد بن محمد البابرتي (٧٨٦ هـ) " أن المراد إفادة التجدد بالذات لا بالعوارض ؛ فإنهما [أي اسما الفاعل والمفعول] يفيدان ذلك بواسطة عروض العمل ، وأما بحسب الذات فلا دلالة للاسم -صفة كان أو غيرها - إلا على الثبوت " (٢) .

وعلى هذا فإفادة الاسم - في الآية المذكورة - الثبوت إنما هو بحسب دلالته الوضعية ، ولعل هذا مراد البلاغيين وعلى رأسهم عبد القاهر الجرجاني (٣).

ولنعد إلى المثال الذي ذكره السبكي (زيد قام) ، حيث الفعل ماض ، وأحد معنيي التجدُّد هو حدوث الفعل بعد أن لم يكن (٤)، وهي دلالة الفعل الماضي والتي تتفق مع دلالة الاسمية على الثبوت . أما لو كان الفعل مضارعًا فالأمر يختلف ؛ لأنه قد يعني حدوث الفعل في الحال أو المستقبل ، وقد يعني تقضِّيه شيئًا بعد شيء ، وهذا المعنى لا يتفق مع الدلالة الثبوتية للجملة الاسمية ، ومن ثم وجدنا البلاغيين لا يعتدُّون بها مؤكدًا في نحو قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٦](٥) . وجوَّز الدسوقي أن يكون المراد من الثبوت في هذه الحالة " ثبوت التجدُّد واستمراره " (٦).

(١) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) شرح التلخيص /٢٧٤ .
(٣) ينظر : الدلائل / ١٨٣ .
(٤) ينظر : حاشية الدسوقي ٢ / ٢٧ .
(٥) ينظر : شروح التلخيص ١ / ٢١٦ .
(٦) حاشية الدسوقي ٢ / ٢٧ .

وفي الغالب فإن المقام هو الذي يحدد دلالة الجملة الاسمية المضارعية على الثبوت أو التجدد .

وذهب بعض البلاغيين إلى أن " خلو الجملة من ا لدلالة على الزمان "[١] سبب لكون الجملة الاسمية مؤكدة ، ومن الباحثين من عزا السبب في ذلك إلى اسمية المصدر ، وأنه أصل المشتقات [٢]، قال مصطفى الجويني رحمه الله : " الجملة الاسمية بإزاء الجملة الفعلية حكمها أشد توكيدًا . ومما يثبت أهمية الجملة الاسمية أن النحويين قالوا : إن المصدر هو الأصل الذي يشتق منه الفعل " [٣].

غير أن ما ذهب إليه جمهور البلاغيين من أن الجملة الاسمية مؤكدة لكونها تفيد الثبات والدوام أرجح . هذا ودلالتها على الثبوت إنما هو بأصلها الوضعي ، أما إفادتها الدوام فيكون بمعونة القرائن ، وهذه الإفادة هي التي تعطي للجملة الاسمية قيمتها البلاغية لا دلالتها الوضعية[٤].

المبحث الثاني: النَّافون :

يلقانا - هاهنا - قلة من البلاغيين الذين خالفوا الجمهور في دلالة الجملة الاسمية على الثبوت أو إفادتها التوكيد ، ومنهم : أبو المطرف أحمد بن عميرة (ت ٦٥٨ هـ) ، وابن المنيِّر الإسكندري، وبهاء الدين السبكي.

أما ابن عميرة فقد أنكر على ابن الزملكاني قوله في الفرق بين الإثبات بالاسم والفعل على النحو الذي سبق بيانه [٥]، وعدَّ هذه التفرقة التفرقة المخترعة منكرًا من القول ، وردَّ شواهد البلاغيين في هذا الباب [٦].

---

(١) الأطول ١ / ٢٤٠ .

(٢) لعلماء اللغة والنحو خلاف كبير حول أصل المشتقات أهو الاسم أم الفعل ليس هنا مجال بحثه .

(٣) البلاغة والنقد / ١٩٦ .

(٤) ينظر : بغية الإيضاح ١ / ١٣٩ حاشية(٤)

(٥) ينظر ص ٣٤٤ من البحث .

(٦) ينظر : التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات / ٦٥ - ٦٧ .

وحجته فيما ذهب إليه أن أكثر الأسماء لا تدل على الثبات لأنها أسماء ذوات ، بل الذي له هذه الدلالة هو الاسم المشتق ، " والاسم المشتق والفعل الواقع موقعه في الإخبار كقائم وقام يشتركان في الدلالة على معنى القيام وعلى الموصوف به ، ويزيد الفعل الدلالة على زمانه ، فمتى اقتسما هاتين الدلالتين المخترعتين ؟ "[١]، أما دلالة الفعل على التجدد فهي " دلالة ذهنية ، واللفظ عنها بمعزل " ، وتفهم بأمر خارج عن الفعل [٢].

وهو في رأيه هذا قد خالف ما أجمع عليه علماء النحو والبلاغة ، ولهذا تصدَّى للرد عليه عدد من العلماء منهم معاصره أبو إسحاق إبراهيم الجزري [٣]، ومن المعاصرين الدكتور نزيه فرج الذي أصاب وأجاد [٤].

ولا شك في أن إنكار ابن عميرة دلالتي الاسم والفعل يترتب عليه نفي أن تكون للجملة الاسمية ميزة على الفعلية أو أنها أقوى منها في التعبير .

وأما ابن المنيِّر فإنه حكى عن الزمخشري أن " الجملة الاسمية أثبت من الفعلية خصوصًا مؤكدة بإنَّ مردفة بإنما " [٥] ، وعقَّب عليه بقوله : " وعلى الجملة فقد أحسن الزمخشري ـ رحمه الله ـ في تقريره ما شاء وأجمل ما أراد " [٦] ، مما يشعر بأنه يرى إفادة الجملة الاسمية التوكيد .

غير أنه استدرك بأنه قد حكى إيمان المخلصين بالجملة الفعلية أيضًا في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ

(١) السابق /٦٥ .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) ينظر : مقدمة محقق كتاب التنبيهات /٣٧ ونقد كتاب التنبيهات /٩ ـ ١٠ .
(٤) ينظر : نقد كتاب التنبيهات /٨٦ ـ ١٠٠ .
(٥) الإنصاف ١ / ١٨٥ .
(٦) السابق ، الصفحة نفسها .

﴿ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٣] [١] ، وقال الزركشي : " وقال ابن المنيِّر : طريقة العرب تدبيج الكلام وتلوينه ، ومجيء الفعلية تارة ، والاسمية تارة أخرى ، من غير تكلف لما ذكروه ، وقد رأينا الجملة الفعلية تصدر من الأقوياء الخلَّص ، اعتمادًا على أن المقصود الحاصل بدون التأكيد ، كقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا ﴾ [آل عمران : ٥٣] ولا شيء بعد : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ ﴾ [البقرة : ٢٨٥] ، وقد جاء التأكيد في كلام

المنافقين فقال : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ١١] "[٢].

فالتفنن في الكلام هو الغاية عند ابن المنيِّر من تنوع الأساليب ما بين الاسم والفعل ، وليس لدلالتيهما أثر في ذلك التنوع ، بدليل أن التوكيد كما يأتي في كلام المؤمن الصادق فهو يقع أيضًا في كلام الشاكّ المرتاب .

ولم ينفِ البلاغيون ذلك ، بل ذكروا أن هذا يقع لاعتبارات بلاغية لا تخفى على البصير المتذوق ، فالتوكيد له سياقات تختلف باختلاف حال المخاطب أو المتكلم ، وقد لخَّص شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ) الغاية من التوكيد بقوله : " التأكيد يكون للرواج عند المخاطب ، وصدق الرغبة من المتكلم ، وتركه لعدمه ، كما يكون لإزالة الإنكار والتردد " [٣] . ويزيد الدكتور أبو موسى الأمر جلاء بقوله : " وهناك ضروب من التوكيد لا ينظر فيها إلى حال المخاطب وإنما ينظر فيها المتكلم إلى حال نفسه ومدى انفعاله بهذه الحقائق ، وحرصه على إذاعتها وتقريرها في النفوس كما أحسَّها مقرَّرة أكيدة في نفسه " [٤].

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) البرهان ٤ / ٦٤
(٣) حاشية الشهاب على تفسير القاضي البيضاوي ١ / ٣٤٣ .
(٤) خصائص التراكيب / ٥٧ .

وهذا ما نجده في قول المؤمنين : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا ﴾ [آل عمران : ١٦] ، وأما توكيد المنافقين في نحو قولهم : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة : ١٤] وقولهم : ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة : ١١] فهو ناتج عن " صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به ، وما قالوه من ذلك فهو رائج عنهم مُتقبَّل منهم فكان مظنَّة للتحقيق ومئنَّة للتوكيد " .(١)

ونأتي إلى السبكي ، ولعله أبرز من صرَّح بنفي إفادة الجملة الاسمية التوكيد ، وقد ردَّ على التنوخي وابن النفيس ما قالاه في هذا الصدد محتجًّا بأن "الاسم وإن دلَّ على الثبوت والاستقرار فإنما يدل على استقرار مصدره الذي اشتُقّ منه ، فالتأكيد في (زيد قائم) للقائم المفرد لا للجملة " (٢) ، وذهب إلى أن البيانيين لم يعدُّوا الجملة الاسمية مؤكدة لهذا السبب .

وهذا الذي ذهب إليه يخالف قول البلاغيين إن التوكيد في الجملة الاسمية للحكم وليس للمسند وحده ولا للمسند إليه وحده ، ثم إنهم جعلوا توكيدها على سبيل التبعيَّة ، فمتى توفرت الضوابط التي سيأتي الحديث عنها ـ كلها أو بعضها ـ في الجملة الاسمية كانت مؤكدة ، وإلا فلا ، والله أعلم .

المبحث الثالث:ضوابط توكيد الجملة الاسمية :

عبر البلاغيون عن إفادة الجملة الاسمية التوكيد بعبارات مثل : أقوى (٣)، وأبلغ (٤)، وأدل (٥)، وآكد (٦)، وأثبت (١) ، وأشد تأكيدا (٢) ،

(١) الكشاف ١ / ١٨٦ .
(٢) عروس الأفراح ١ / ٢٢٠ .
(٣) ينظر مثلا : الكشاف ١ / ١٨٥ ، وعروس الأفراح ١ / ٢٢٠ نقلا عن (طريق الفصاحة) .
(٤) ينظر مثلا : التبيان لابن الزملكاني /٥١ ، والبرهان للزركشي ٤ / ٦١ .
(٥) ينظر مثلا : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز لفخر الدين الرازي / ٣٠٨ ، وعروس الأفراح ١ / ٢٢٠ .
(٦) ينظر مثلا : أصول البلاغة لميثم البحراني /٩٦ ، وجواهر البلاغة للهاشمي حاشيةص ٣٨ .

، ... مبالغة وتأكيدا [٣] ..إلخ . وهي تدل فيما تدل على أن الجملة الاسمية من مؤكدات الحكم .

لكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن : هل الجملة الاسمية مؤكدة دائماً في كل المواضع ؟

باستقراء الشواهد البلاغية التي ذكرها البلاغيون في معرض حديثهم عن المؤكدات فيها اتضح ما يلي :

أن الجملة الاسمية لكي تكون مؤكدة لابد من توفر بعض الضوابط فيها ، وأهمها كما ظهر بالاستقراء :

أولاً: اقتران الجملة الاسمية بمؤكد :

وقد اتضح هذا في معظم الشواهد البلاغية في كتب البلاغة المعتبرة [٤]، ودل عليه كلام عبد القاهر حين تحدث عن تفاوت الدلالات في نحو قولنا : (زيد منطلق) و (زيد المنطلق) و (زيد هو المنطلق) ، قال : " وتمام التحقيق : أن هذا كلام يكون معك إذا كنت قد بُلِّغتَ أنه كان من إنسان انطلاق من موضع كذا في وقت كذا لغرض كذا ،فجوَّزتَ أن يكون ذلك كان من زيد ، فإذا قيل لك (زيد المنطلق) صار الذي كان معلومًا على جهة الجواز معلومًا على جهة الوجوب .

ثم إنهم إذا أرادوا تأكيد هذا الوجوب أدخلوا الضمير المسمَّى فصلاً بين الجزأين فقالوا : (زيد هو المنطلق)" [٥].

ويؤيد هذا أيضًا تعليقه على قصة أبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي (ت ٢٦٠ هـ) الفيلسوف مع أبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ)[٦] ، وأن مجيء (إنَّ) في الجملة الاسمية من مواضعه

---

(١) ينظر مثلا : الإنصاف ١ / ١٨٥ ، والإتقان ٢ /٣١٩ نقلا عن أبي حيان .
(٢) ينظر مثلا : البلاغة والنقد/ ١٩٦ .
(٣) ينظر مثلا : الطراز ٢ / ١٩ .
(٤) ينظر مثلا : الكشاف ١ / ١٨٥ وما بعدها ، والمفتاح/ ١٦٧ ، ٢١٧ ، والمثل السائر ٢ / ٢٦٩ ، والإيضاح ١ / ٦٠ ، والمطول/ ٤٧ ، ومواهب الفتاح ١ / ٢٠٦ وغيرها .
(٥) دلائل الإعجاز / ١٨٦ .
(٦) تنظر القصة في الدلائل / ٢٩٨ .

أن تقع في جملة الجواب ، سواء كان جواب سائل أم جواب منكِر ، فإن كانت جوابًا لسائل كانت وحدها ، وإن كانت جواب منكِر جيء معها باللام ، قال :" فأما الذي ذُكر عن أبي العباس جعله لها جواب سائل إذا كانت وحدها وجواب منكِر إذا كان معها اللام فالذي يدل على أن لها أصلاً في الجواب أنَّا رأيناهم قد ألزموها الجملة من المبتدأ والخبر إذا كانت جوابًا لقسم نحو (والله إن زيدًا منطلق) وامتنعوا من أن يقولوا : والله زيد منطلق ...

وأما جعلها إذا جُمع بينها وبين اللام نحو (إن عبد الله لقائم) مع المنكِر فجيد لأنه إذا كان الكلام لمنكِر كانت الحاجة إلى التأكيد أشد ، وذلك أنك أحوج ما تكون إلى الزيادة في تثبيت خبرك إذا كان هناك من ينكره ويدفع صحته "[1] .

بل لقد صرح بعض البلاغيين بأن الجملة الاسمية لا تكون مؤكدة إلا إذا اقترنت بمؤكد ،كما قال القاضي التنوخي :"ومن شأنهم أن يخبروا بالفعل الماضي عما وقع إذا لم يقصدوا التوكيد ، وإذا قصدوه أخبروا عنه بالجملة الاسمية المؤكدة بإنَّ كقولهم : ... (إن زيدًا قائم) ، وإن احتاج إلى زيادة توكيد قيل : (إن زيدًا لقائم) ... " [2].

ويزيد العلوي هذا الأمر وضوحًا حين يقرنه بالأمثلة التي تبين تفاوت دلالة الجملة الاسمية عند اقترانها بمؤكد أو عدمه ، قال :" اعلم أن الإخبار في قولنا : (قام زيد) مثله في نحو قولك : (زيد قام) ، خلا أن قولنا (زيد قام) فيه نوع اهتمام وإيضاح للجملة الاسمية ... وهكذا قولنا : (زيد قائم) مثل قولنا : (إن زيدًا قائم) ، خلا أن الثاني مختص بمزيد قوة وتأكيد لم يكن في الأول ، ولو جئت باللام في خبر (إن) لكان أعظم تأكيدًا "[3].

(١) السابق / ٣٠٦ ، ٣١٠ .
(٢) الأقصى القريب / ٩٩ .
(٣) الطراز ٢ / ٣٠ .

وقد أشار إلى ذلك الدسوقي حين " بين أن تأكيدها [أي الجملة الاسمية] ليس على سبيل الاستقلال بل على سبيل التبعية ، فإن كان هناك مؤكد آخر جعلت اسمية الجملة من المؤكدات و إلا فلا " (١).

هذا ومن أهم مؤكدات الجملة الاسمية (إنَّ) ، وقد ذكر عبد القاهر أن التوكيد أصل فيها(٢) ، ومن مواضعها التي تقتضيه أنه إذا كان الخبر بأمر وكان للمخاطب ظن بخلافه أو قد جرت العادة بخلافه احتيج إلى (إنَّ) لإثباته ، قال عبد القاهر : " فإذا كان الخبر بأمر ليس للمخاطب ظنٌّ في خلافه ألبتة ولا يكون قد عقد في نفسه أن الذي تزعم أنه كائن غيرُ كائن وأنَّ الذي تزعم أنه لم يكن كائن فأنت لا تحتاج هناك إلى (إنَّ) ، وإنما تحتاج إليها إذا كان له ظنٌّ في الخلاف وعقد قلبٍ على نفي ما تثبت أو إثبات ما تنفي ، ولذلك تراها تزداد حسنًا إذا كان يبعد مثله في الظنِّ وبشيء قد جرت عادة الناس بخلافه، كقول أبي نُواس(٣) :

* إنَّ غنَى نفسِكَ في الياس * ...إلخ "(٤).

وعلاوة على إفادة (إنَّ) التوكيد فإن لها مزايا أخر أشار إليها عبد القاهر ليس هنا مجال بحثها(٥) .

ثانياً : اقتضاء المقام التوكيد :

وهذا الذي يبدو من تحليلات البلاغيين للشواهد ، فقد عُدَّت الجملة الاسمية مؤكدة في مواضع وغير مؤكدة في مواضع آخر . وقد بين المرشدي " أن المراد من كون الاسمية مؤكدة أنها مما يصلح أن يُقصد

---

(١) حاشية الدسوقي ١ / ٢١٦ .

(٢) ينظر : الدلائل / ٣٠٧ .

(٣) أبو نُواس الحسن بن هانىء شاعر عباسي ، ولد سنة تسع وثلاثين ومائة ، وتوفي سنة خمس وتسعين ومائة ، كان شاعرا مطبوعا مجيدا .تنظر ترجمته في : الشعر والشعراء لابن قتيبة ٢ / ٦٨٠ ـ ٧٠٦ ، وطبقات الشعراء لابن المعتز / ١٩٣ ـ ٢١٧ ، والأعلام ٢ / ٢٢٥

(٤) السابق ، الصفحة نفسها .

(٥) ينظر المصدر السابق / ٢٩٨ ـ ٣١٠ .

به التأكيد عند مناسبة المقام ، فإن لم يُقصد لم تكن مؤكدة ، فهي مؤكدة تارة دون أخرى .. " (١).

وبالتأمل في شواهد البلاغيين نجد أن المقام الذي استُخدمت فيه الجملة الاسمية كان مقتضيًا للتوكيد ، كما في قوله تعالى حكاية عن المنافقين : ﴿ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [المنافقون : ١] ، فهم يدَّعون إيمانهم بالرسول ﷺ ويبالغون في صدق دعواهم مستخدمين أقوى أساليب التوكيد حتى يصدِّقهم الرسول ﷺ ويعتقد أن قولهم هذا " من صميم القلب ، كما يترجم عنه إن واللام وكون الجملة اسمية " (٢) .

وعلى النمط نفسه جاء الرد على قولهم : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ [البقرة : ٨] فقال تعالى : ﴿ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة : ٨] ، " حيث جيء به جملة اسمية ومع الباء " (٣).

أما حين يكون القول صادرًا عن وفور اعتقاد وقوة يقين فإننا نجد المنافقين أنفسهم يقولون لنظرائهم من الكافرين : ﴿ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة : ١٤] ، فجيء بالجملة الاسمية مؤكدة بإن (٤).

ومع أن القائل واحد وهم المنافقون في كلتا الحالتين فإن المقام مختلف ؛ إذ المقام في الحالة الأولى ادِّعاء الإيمان رجاء أن يصدِّق الرسول ﷺ والمؤمنون قولهم لما فيه من المصلحة لهم من حقن دمائهم وأموالهم وتحقيق السلامة لهم في الدنيا على الأقل . أما المقام في الحالة الثانية فهو مقام الثبات على الكفر أمام شياطينهم ، وهم هاهنا لا يخافون سوء العاقبة ولا يضيرهم أن يصرِّحوا بكفرهم ما داموا بعيدين عن المؤمنين ، بل إن هذا يحقق لهم مصلحة أخرى بضمان غائلة

(١) شرح عقود الجمان ١ / ٤٢ .
(٢) المفتاح ١٦٧، وينظر أيضا : الإيضاح ١ / ٦٠ .
(٣) المفتاح/ ٢١٨ .
(٤) ينظر: المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

هؤلاء الكافرين ، فهم يسعون إلى جني المكاسب من الطرفين بالظهور أمام هؤلاء بوجه وأولئك بوجه آخر .

ومن ذلك أيضا آيات سورة (يس) الشهيرة في كتب البلاغة ، وهي قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ۝ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ۝ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ [يس : ١٤-١٦] . فالمقام مقام تكذيب وإنكار اقتضى استخدام الجملة الاسمية مقترنة بأدوات التوكيد للرد على تكذيب الكافرين رسلهم ؛ إذ قال الرسل : ﴿ إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴾ مؤكدين قولهم بإنَّ والجملة الاسمية ، ولما اشتد الإنكار زادوا مؤكدات أخر فقالوا : ﴿ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ ، فصُدِّرت الجملة بما في معنى القسم واللام زيادة على المؤكدين السابقين [١] .

ومن الأمثلة أيضًا قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩] ، والمقام مقام ردٍّ على إنكار المشركين واستهزائهم حين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [الحجر : ٦] ، قال الزمخشري : " ردٌّ لإنكارهم واستهزائهم في قولهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ... ﴾ ، ولذلك قال : ﴿ إِنَّا نَحْنُ ﴾ فأكد عليهم أنه هو المنزِّل على القطع والبتات ... "[٢]. وفصَّل العلامة محيي الدين محمد بن مصطفى شيخ زاده (ت

(١) ينظر : حاشية الشهاب ٧ / ٢٣٥ .
(٢) الكشاف ٢ / ٣٨٧ .

٩٥١ هـ) وجوه التوكيد بقوله : " وأكَّده من وجوه : تصدير الجملة بإنَّ ، وتوسيط ضمير الفصل بين اسمها وخبرها ، والتعبير عن المتكلم الواحد بضمير الجمع للتعظيم والإجلال ، وتكرير الإسناد لتقوية الحكم وتقريره ، واسمية الجملة " (١).

فقوة التوكيد لشدة إنكار المشركين إنزال القرآن من عند الله تعالى دحضًا لإنكارهم واستهزائهم ، كما قوي التوكيد في الجملة الثانية ﴿ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ لغرض " دفع الشكوك المحتملة من أن يصيب القرآن ما أصاب التوراة والإنجيل والزبور ، وهو بذلك يبث الاطمئنان في نفوس المؤمنين " (٢).

وفي هذين الموضعين تلوح الجملة الاسمية مؤكدة مناسبة للمقام ، فمقام الإنكار ـ إذًا ـ مما يناسبه عدُّ الجملة الاسمية مؤكدة ، ولهذا يترجح لديَّ عدُّها مؤكدة في بيت حجل بن نضلة القيسي (٣):

جاء شَقِيقٌ عَارِضًا رمحه إنَّ بني عَمِّك فيهم رِمَاح

فالبلاغيون ذكروا هذا البيت شاهدًا على تنزيل غير المنكِر منزلة المنكِر مما يقتضي التوكيد ، ثم إنهم لم يعدُوا اسمية الجملة من المؤكدات واقتصروا على أداة التوكيد (إنَّ) (٤)، مع أن بعضهم ذكر أن الخبر الإنكاري يحتاج إلى أكثر من مؤكد حسب قوة الإنكار وضعفه ، فللإنكار الواحد تأكيدان ، وللاثنين ثلاثة ، وهكذا ... (٥).

ولهذا اعترض السبكي على الخطيب القزويني بقوله : " وفيما قاله المصنف نظر ؛ لأن الخبر ليس فيه إلا مؤكد واحد(٦) ، فمن أين لنا أنه إنكاري ؟ جاز أن يكون طلبيًا ويكون من القسم السابق ، ويكون هذا التوكيد الواحد فيه استحسانيًا لا واجبًا "(٧).

---

(١) حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي ٣ / ١٤٧ .
(٢) المعاني في ضوء أساليب القرآن/ ١٢٧ .
(٣) حجل بن نضلة القيسي الباهلي ، قيل إنه شاعر جاهلي ، من شعراء الأصمعيات ، ينظر خبره وترجمته في : الشعر والشعراء لابن قتيبة ١ / ٣٩ ، ، والأعلام ٢ / ١٧٠ .
(٤) ينظر مثلا : الإيضاح ١ / ٧٤- ٧٥ ، وشروح التلخيص ١ / ٢١٢ -٢١٤ .
(٥) ينظر : حاشية الدسوقي ١ / ٢٠٦ .
(٦) في الأصل (واحدًا) والصواب ما أثبت .
(٧) عروس الأفراح ١ / ٢١٣ وما بعدها .

والذي دعاهم إلى عدِّ الخبر إنكاريًا في البيت هو ما قالوه من أن (شقيقًا) " لا ينكر أن في بني عمه رماحًا ، لكن مجيئه واضعًا الرمح على العرض من غير التفات وتهيؤ أمارة أنه يعتقد أن لا رمح فيهم ، بل كلهم عزل لا سلاح معهم ، فنُزِّل منزلة المنكِر وخوطب خطاب التفات بقوله : (إن بني عمك فيهم رماح) ... "[1].

نخلص مما سبق إلى أن الجملة الاسمية تكون مؤكدة في المقامات التي تقتضي ذلك كمقام الإنكار أو ما نُزِّل منزلته ، والله أعلم .

ثالثًا : كون الجملة الاسمية معدولة عن الفعلية :

وهذا الشرط ذكره بعض البلاغيين ونازع فيه آخرون ؛ ومبنى كلام المؤيدين منهم على أن الجملة الاسمية تفيد الثبوت ، فهي أدلُّ من الفعلية في ذلك وأكثر تأكيدًا ومبالغة ، ولهذا يعدل إليها عند اقتضاء المقام ، كما في قوله تعالى : ﴿ **فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٨٠] ، فقد قال الخطيب القزويني : " ولهذا كان قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ أدلّ على طلب الشكر من قولنا: (فهل تشكرون) و (فهل أنتم تشكرون) ؛لأن إبراز ما سيتجدد في معرض الثابت أدلُّ على كمال العناية بحصوله من إبقائه على أصله "[2].

فبلاغة الآية الكريمة راجعة إلى التأكيد الناتج عن تكرار الإسناد ؛ إذ التقدير : (فهل تشكرون) ، ثم حُذف الفعل الأول فانفصل ضميره ، فهو فاعل لفعل محذوف ؛ لأن (هل) لها مزيد اختصاص بالفعل[3].

وقال العلوي صاحب (الطراز) معقبًا على بيت الشاعر :

لم ينتقص مني المشيبُ قُلامةً ولَمَا بقِي مني ألبُّ وأكْيَسُ

" فلما كان المشيب يُذمُّ في أكثر أحواله أتى باللام المؤكدة في قوله : (ولما بقي) ، وجعل الجملة الاسمية عوضًا من الفعلية مبالغة في ذلك وتأكيدًا " [1].

---

(١) مختصر السعد (ضمن شروح التلخيص) ١ / ٢١٣ .

(٢) الإيضاح ٣ / ٦٠ وما بعدها وينظر أيضا : المفتاح /٣٠٩ .

(٣) ينظر : بغية الإيضاح ٢ / ٣٢ حاشية (٨) .

وقال ابن عربشاه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴾ : " أكَّد للمنكِر في أول الإنكار ب(إنَّ) [٢] وخلوِّ الجملة عن الدلالة على الزمان ، مع أن الظاهر فيها : (إنا إليكم أُرسلنا) ؛ إذ خلو الجملة عنها والعدول عنها[٣] يشعر بدعوى الاستمرار الدال على المبالغة في تحقق مضمون الجملة ؛ لأن تأكيد المنكِر فوق تأكيد المتردد ... ولعل هذا مراد الشارح بقوله : (مؤكدًا باسمية الجملة) ... " [٤].

وقد ذكر المرشدي أن تأكيد الجملة الاسمية " إنما هو في مقام العدول عن الفعلية إليها ؛ لأن بناء مؤكديتها على إفادة الدوام والثبات ، وهي إنما تدل عليهما في هذا المقام ، اللهم إلا أن يستند التأكيد إلى مجرد عدم الدلالة على التجدد " [٥].

أما الدسوقي فذهب إلى أنه لا يشترط في التأكيد بالاسمية كونها معدولة عن الفعلية ؛ لأن العدول قد يُقصد منه الدوام لا التأكيد ، " فلا يلزم إفادة التأكيد في مقام العدول مطلقًا " [٦].

ويقوى هذا الرأي بالتأمل في الشواهد التي ذكرها صاحب (الطراز) ، فالمقام في البيت آنف الذكر مقام الفخر والاعتزاز برجاحة عقل الشاعر مع تقدم سنِّه ، وهو يريد أن يبرز الأثر الإيجابي للشيب خلافًا للمتعارف عند الناس من كونه علامة نقص ؛ فقد استخدم الشاعر الجملة الفعلية (لم ينتقص ...) لينفي الأثر السلبي للشيب ، أما عند الحديث عن الجانب الإيجابي له، فقد أتى بالجملة الاسمية المؤكدة (ولما بقي ...) ليؤكد ويقرر أن للشيب فضيلة عليه تتجاوز النقص الطارئ إن كان ثمة نقص ، فكانت الجملة الاسمية هي الملائمة في هذا المقام .

---

(١) الطراز ٢ / ٢٩ وينظر أيضا ص ٣٠ .
(٢) في الأصل (بأن) والصواب ما أثبت .
(٣) أي خلو الجملة عن الدلالة على الزمان والعدول عن الفعلية .
(٤) الأطول ١ / ٢٤٠ والشارح هو التفتازاني ، ينظر : مختصر السعد ١ / ٢٠٦ .
(٥) شرح عقود الجمان/ ٤٢ .
(٦) حاشية الدسوقي ١ / ٢١٥ .

ومثل هذا نجده في قول الشاعر [1]:

إنَّا لنصفح عن مجاهل قومنا ونقيم سالفة العدوِّ الأصْيَدِ

ومتى نجد يومًا فساد عشيرة نُصلح وإن نرَ صالحًا لانُفسدِ

فقد نوَّع الشاعر بين الاسمية والفعلية في البيتين ، ثم استخدم الاسمية المؤكدة في المعاني التي تبرز فضيلة قومه على الآخرين ، والتي هي من معالي الأمور التي لا يطيقها كل أحد (إنا لنصفح ...) ، فالعفو والصفح من شيم الكرام ذوي الهمم العالية ، أما الإصلاح وعدم الإفساد فالأمر فيه يسير ، ويكاد يكون بمقدور كل امرئ التحلي بهما لو أراد ، فكانت الجملة الاسمية هي الأنسب في مقام الفخر .

رابعًا : تقديم المسند إليه على المسند الفعلي :

وقوع المسند إليه متقدمًا على خبره الفعلي من المواضع ذات الدلالة على كون الجملة الاسمية مؤكدة ، وللنحويين إشارات متقدمة إلى هذا الموضع ، وعلى رأسهم سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) ، فهو أقدم من أشار إلى أهمية تقدم الاسم على الفعل حيث قال : " فإذا بنيت الاسم على الفعل قلت : (زيد ضربته) ، فلزمته الهاء ، وإنما تريد بقولك : مبني عليه الفعل أنه في موضع (منطلق) إذا قلت : (عبد الله منطلق)، فهو في موضع هذا الذي بُنِي على الأول وارتفع به ، فإنما قلت : (عبد الله) فنسبته[2] له ، ثم بنيت عليه الفعل ورفعته بالابتداء "[3].

فهو يرى أن تقديم الاسم على الفعل يفيد تنبيه المخاطب إلى ما سيأتي من الكلام ، ومعلوم أن التنبيه لا يكون إلا للأمر المهم الذي ينبغي للمخاطب أن يقبل بسمعه إليه .

---

(١) ينظر : الطراز ١ / ٢٩ وما بعدها .

(٢) في دلائل الإعجاز " فنبهته " ، ينظر : ص ١٥٣ .

(٣) الكتاب ١ / ٨١ .

كما أن لسيبويه إشارة أخرى يستشف منها دلالة الجملة الاسمية على التوكيد حين قال : " وقد تقول أيضًا : (رويدك) لمن لا يُخاف أن يلتبس بسواه توكيدًا ، كما تقول للمقبل عليك المنصت لك : (أنت تفعل ذاك يا فلان) توكيدًا "(١).

وجاء بعده المبرد الذي رأى أن الابتداء بالاسم يهدف إلى أن يتوقع السامع ما يخبره المتكلم به عنه ، إذ كان الفاعل معلومًا له ، وبذلك تتحقق الفائدة من الخبر(٢) ، فالابتداء بالاسم يثير السامع ليصغي إلى ما يحمله الخبر من أهمية .

وتلاهما أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) الذي بين قيمة تصدير الجملة بالاسم وتميزها في الدلالة عن الفعل فقال : " ...وهذا كقولك : (إذا زرتني فأنا ممَّن يحسن إليك) ، أي: فحَرِيٌّ بي أن أحسن إليك . ولو جاء بالفعل مصارحًا به فقال :(إذا زرتني أحسنت إليك) لم يكن في لفظه ذكر عادته التي يستعملها من الإحسان إلى زائره ، وجاز أيضًا أن يُظَنَّ به عجز عنه ، أو وُنِيٌّ وفتور دونه ، فإذا ذكر أن ذلك عادته ، ومظِنَّة منه كانت النفس إلى وقوعه أسكن وبه أوثق "(٣).

معنى هذا أن الجملة الاسمية تفيد التقرير عند ابن جني كما تفيد رفع توهم الخطأ في ذهن السامع ، وهو المراد من التوكيد . كما يبدو من المثال الذي أورده إفادة الجملة الاسمية التوكيد مع عدم اقترانها بأي مؤكد اللهم إلا تقدم الاسم على الفعل .

ومن هذه الإشارات استنبط البلاغيون - فيما بعد - دلالة الجملة الاسمية على التوكيد ، كما بنَوا على كلام سيبويه في تقديم الاسم على الفعل مباحثهم في تقديم الفاعل المعنوي وأثره في تقوية الحكم وتقريره ، فقد ذكر عبد القاهر أن تقديم الاسم المحدَّث عنه على فعله يكون على قسمين :

---

(١) السابق ١/ ٢٤٤ .

(٢) ينظر : المقتضب ٤ / ١٢٦.

(٣) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات وعللها ٢ / ٢٧٤ .

" أحدهما جليٌّ لا يُشكِل وهو أن يكون الفعل فعلاً قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له وتزعم أنه فاعله دون واحدٍ آخر أو دون كل أحد .

والقسم الثاني : أن لا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى ، ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل وتمنعه من الشك ، فأنت لذلك تبدأ بذكره ، وتوقعه أولاً من قبل أن تذكر الفعل في نفسه ، لكي تباعده بذلك من الشبهة وتمنعه من الإنكار ، أو من أن يظُنَّ بك الغلط والتزيد "[1] .

فالقصد الأول من تقديم الفاعل إرادة التخصيص وهو ليس محل البحث ، أما الذي يعنينا فهو القسم الثاني الذي أوضح فيه عبد القاهر أن تقديم الاسم على الفعل لغرض التحقيق ، وهو الذي أشار إليه في موضع آخر بأن " تقديم المحدَّث عنه يقتضي تأكيد الخبر وتحقيقه له "[2] .

ويكاد إجماع البلاغيين ينعقد على أن تقديم الاسم على الفعل في الجملة الاسمية قد يكون مرادًا به التقوي أو التخصيص مع تفصيل في هذا الموضع ليس هنا مجال بحثه .

فقد ذكر السكاكي أن تقدم الاسم على الفعل ومجيء المسند جملة يفيد تقوي الحكم [3] ، كما أشار الخطيب القزويني إلى أن تقديم المسند إليه قد يأتي للتخصيص وقد يأتي لتقوية الحكم [4]، وقال صاحب (المطول) : " وقد يقدم المسند إليه ليفيد التقديم تخصيصه بالخبر الفعلي ... وقد يأتي لتقوي الحكم وتقريره في ذهن السامع دون التخصيص "[5] .

غير أن الاسم الذي يقوي دلالة الجملة الاسمية على التوكيد هو الاسم المشتق، فقد ذكر الباحث نزيه فرج أن مراد البلاغيين بالاسم:" (الاسم المشتق) وهو اسم الفاعل الواقع خبرًا ومسندًا ، مثل : (زيد

---

(١) الدلائل / ١٥٠ .
(٢) السابق/ ١٥٤ .
(٣) ينظر : المفتاح / ٢١٧ ، ٢٢١ .
(٤) ينظر : التلخيص / ٧٦ ـ ٧٧ والإيضاح ١ / ٥٦ ـ ٥٧ .
(٥) المطول / ١١٢-١١٣ .

منطلق) ولا يقصدون مطلق الاسم ، كذلك فإنهم لم يكن قصدهم بالفعل مطلق فعل ، وإنما كانوا يعنون بالفعل : (الفعل المضارع) ... "[1].

وثمة إشارة متقدمة لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ذكر فيها الفرق بين الاسم والفعل من خلال حديثه عن (الفصل بين الفعل والنعت) ، فحيث يُراد اللزوم والدوام يستخدم النعت (اسم الفاعل أو المفعول) ، وأما إذا لم يكن الوصف ملازمًا فيُستخدم الفعل ، ومثَّل له بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [الإسراء : ٢٩] فقال : " لم يقل : ولا تغلَّ يدك ؛ وذلك أن النعت ألزم ، ألا ترى أنَّا نقول : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ [طه : ١٢١] ، ولا نقول : آدم عاصٍ غاوٍ ؛ لأن النعوت لازمة "[2].

وقال ابن المنيِّر معللاً: " وإنما امتاز اسم الفاعل بهذه الخصوصية من حيث إن [3] صيغة الفعل لا تعطي سوى حدوث معناه من فاعل لا غير ، وأما اتصاف الذات به فذاك أمر يعطيه اسم الفاعل ، ومن ثم يقولون : (قام زيد فهو قائم) ، فيجعلون اتصافه به ناشئًا عن صدوره منه ... "[4].

ولهذا نجد للاسم المشتق من القوة ما لا نجده لغيره من الأسماء ، حتى إن ابن يعقوب المغربي رجَّح الجملة ذات المشتق على الجملة الجامدة الجزأين في إفادتها التوكيد ، وننقل هنا عبارته لأهميتها ، قال :" وبهذا يندفع ما يُتوهَّم من أن الجملة الجامدة الجزأين هي في الثبوت آكد مما فيه مشتق ، فكيف يُحكم بأن المشتق أقوى في التوكيد ؟ لأن المراد أن طلبه لما نُسب له أقوى كالفعل بخلاف الجامد فهو مستقل ، والتأكيد الموجود في جملته من جهة كون معناه وصفًا ذاتيًا أو لازمًا في الأصل للمخبَر عنه لا من جهة كونه وُضع طالبًا للمنسوب إليه ،

(١) نقد كتاب التنبيهات / ٨٦ وينظر أيضا : ص ٨٧ .
(٢) الصاحبي / ٤٦٣ .
(٣) في الأصل (أن) والصواب ما أثبت .
(٤) الإنصاف ١ / ٦٠٧ وما بعدها .

فالمشتق أقوى منه في هذا المعنى لشبهه بالفعل ، فالجامد الثبوت فيه من جهة المدلول ،فهو خارج عن إفادة التقوية بإعانة وضع اللفظ ، والتأكيد في المشتق بإعانة دلالة اللفظ لا بنفس مدلوله بذاته كما في الجامد " [١] .

فدلالة التوكيد في الجامد باعتبار أصل الوضع من حيث اسمية الكلمة ودلالتها على الثبوت ، أما دلالة المشتق فباعتبار العدول عن الفعل قصد إرادة التوكيد كما سبق بيانه [٢]، ولما تحقق فيه من تكرار الإسناد المؤدي إلى التقوية .

أما العلة في إفادة الجملة الاسمية ـ حال تقدم الاسم فيها على الفعل ـ التوكيد فقد أشار عبد القاهر إلى طرف منها في قوله :" فإن قلت : فمن أين وجب أن يكون تقديم ذكر المحدَّث عنه بالفعل آكد لإثبات ذلك الفعل له ؟ ... فإن ذلك من أجل أنه لا يؤتى بالاسم معرًّى من العوامل إلا لحديث قد نُوي إسناده إليه . وإذا كان كذلك فإذا قلت (عبد الله) فقد أشعرت قلبه بذلك أنك قد أردت الحديث عنه ، فإذا جئت بالحديث فقلت مثلاً : (قام) أو قلت : (خرج) أو قلت : (قدم) فقد علم ما جئت به ، وقد وطأت له وقدمت الإعلام فيه ، فدخل على القلب دخول المأنوس به وقبله قبول المتهيء له المطمئن إليه ، وذلك لا محالة أشد لثبوته وأنفى للشبهة وأمنع للشك وأدخل في التحقيق . وجملة الأمر أنه ليس إعلامك الشيء بغتة مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمة له ، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام ، في التأكيد والإحكام "[٣].

كما أشار السكاكي إلى جانب آخر يتعلق بالصيغة التركيبية للجملة الاسمية وما تشتمل عليه من تكرار الإسناد الذي يفيد التقوية ، وذلك أن " المبتدأ يستدعي أن يسند إليه شيء ، فإذا جاء بعده ما يصلح أن يستند إليه صرفه المبتدأ إلى نفسه ، فينعقد بينهما حكم ، سواء كان خاليًا عن ضمير المبتدأ نحو (زيد غلامك) ، أو كان متضمنًا له نحو : (أنا

(١) مواهب الفتاح ١ / ٤٢٣ ـ ٤٢٤ .
(٢) ينظر ص ٣٥٥ من البحث .
(٣) الدلائل / ١٥٣.

عرفت) ... ، ثم إذا كان متضمنًا لضميره صرفه ذلك المبتدأ إلى نفسه ثانيًا ، فيكتسي الحكم قوة "[1].

فعبد القاهر ينظر إلى الأثر النفسي للكلام وما يوقعه المتكلم في نفس السامع حين ينبهه برفق إلى الحديث ويجعله في شوق لسماعه، أما السكاكي فيرى الأمر من جانب عقلي وما في التركيب من خطاب للعقل يجعله يمعن في دلالاته ، ويبحث عن السر الذي جعل المتكلم يلجأ إلى تكرار الإسناد وما فيه من دلالة على التوكيد .

وكلا الجانبين لهما أهميتهما في إعطاء الجملة الاسمية قيمة بلاغية وبعدًا دلاليًّا يجعلها أولى بالاستعمال في بعض المقامات كمقام الإنكار أو الشك أو تكذيب الادعاء أو مجيء الشيء على خلاف العادة ، وفي الوعد والضمان ، والمدح والفخر ...إلخ[2] .

وخلاصة القول أن تقدم المسند إليه على المسند يجعل الجملة الاسمية مفيدة للتوكيد لأمور :

١- أن الجملة الاسمية تفيد الثبوت عمومًا باعتبار الوضع .
٢- أن وجود المشتق فيها يؤدي إلى تكرار الإسناد المفيد للتقوية .
٣- أنها تفيد التقوية باعتبار دلالة اللفظ وما فيه من عدول عن الفعل إلى الاسم .

وما تجدر الإشارة إليه أن هذا الضابط لا يكاد ينازع فيه أحد من البلاغيين ، ولكن السبكي ـ وهو من الرافضين للتوكيد بالجملة الاسمية كما سبق بيانه ـ يعلل لعدم ذكر تقديم الفاعل المعنوي عند حديثهم عن مؤكدات الجملة لأنه من جزء من الكلام ، وكلامهم إنما هو في التأكيد بما ليس من أجزاء الكلام [3].

الجملة الاسمية مؤكدة بلا شروط :

(١) المفتاح / ٢٢١ .
(٢) ينظر : الدلائل /١٥٤ ـ ١٥٥ .
(٣) ينظر : عروس الأفراح ١ / ٢٢ .

قلة من البلاغيين أشارت إلى أن الجملة الاسمية مؤكدة دون أن تشترط أمورًا لذلك ، ومن هؤلاء : ابن النفيس [١] ، ونقل السيوطي عن أبي حيان محمد بن يوسف بن حيان (ت ٧٥٤ ه) " أن الجملة الاسمية أثبت وآكد من الفعلية " [٢].

ومن المحدثين السيد الهاشمي الذي ذكر أن الخطاب بالجملة الاسمية وحدها آكد من الخطاب بالجملة الفعلية ، " فإذا أريد مجرد الإخبار أُتي بالفعلية ، وإن أريد التأكيد فبالاسمية وحدها ، أو بها مع إنَّ ... الخ " [٣]. ومرت بنا عبارة الدكتور مصطفى الجويني رحمه الله في هذا الصدد [٤]، وجعل تمام حسان ذلك أصلاً من أصول المعنى التي ارتضاها علماء المعاني [٥]، وذهب محمد أبو الفتوح إلى أن " الخطاب بالجملة الاسمية بدلاً من الجملة الفعلية يشبه تأكيد الخبر باللام " [٦].

وفي هذا الرأي عموم تخصصه الضوابط التي تقدم الحديث عنها لتكون الجملة الاسمية مؤكدة ؛ ذلك أن الجملة الاسمية لها اعتباران : " اعتبار إفادتها أصل الحكم الدوامي الثبوتي ، واعتبار تأكيد الحكم بواسطة تلك الإفادة ، وإلقاؤها إلى خالي الذهن إنما هو مع قطع النظر عن الاعتبار الثاني ، بل لضرورة أن الحكم الدوامي هو مقتضى المقام ، وعدُّها من المؤكدات بالنظر إلى الاعتبار الثاني " [٧].

ولا ريب في أن القول بإفادة الجملة الاسمية التوكيد في إطار من الضوابط هو الذي يقرُّه العقل وتدعمه النصوص البليغة من كلام الله ﷻ وحديث المصطفى ﷺ وكلام البلغاء ، ولولا ذلك لغدا كلامنا كله أو أكثره مؤكدًا ، اقتضى المقام ذلك أم لم يقتض ، وهو ما لا يسلِّم به أحد ، والله أعلم .

---

(١) ينظر كلامه ص ٣٤١ من البحث .
(٢) الإتقان ٢ / ٣١٩ .
(٣) جواهر البلاغة /٣٨ حاشية (٢) .
(٤) ينظر ص٣٤٣ من البحث .
(٥) ينظر : الأصول / ٣٤٦ .
(٦) أسلوب التوكيد / ٢٧٤ .
(٧) فيض الفتاح على نور الأقاح للعلوي الشنقيطي ١ / ٥٢ نقلا عن الفنري .

* * *

الفصل الثاني:دراسة تطبيقية من الحديث النبوي :

الحديث :

حدثنا علي بن عبد الله قال : حدثنا سفيان قال : حدثنا سليمان بن أبي مسلم عن طاوس ، سمع ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال : " اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَواتِ والأَرْضِ ومَنْ فِيهِنَّ ، ولَكَ الحَمْدُ ، لَكَ مُلْكُ السَّمَواتِ والأَرْضِ ومَنْ فِيهِنَّ ، ولَكَ الحَمْدُ ، أَنْتَ نُورُ السَّمَواتِ والأَرْضِ ، ولَكَ الحَمْدُ ، أَنْتَ مَلِكُ السَّمَواتِ والأَرْضِ . ولَكَ الحَمْدُ ، أَنْتَ الحَقُّ ، ووَعْدُكَ الحَقُّ ، ولِقَاؤُكَ حَقٌّ ، وقَوْلُكَ حَقٌّ ، والجَنَّةُ حَقٌّ ، والنَّارُ حَقٌّ ، والسَّاعَةُ حَقٌّ ، والنَّبِيُّونَ حَقٌّ ، ومُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ . اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ ، وبِكَ آمَنْتُ ، وعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وإِلَيْكَ أَنَبْتُ ، وبِكَ خَاصَمْتُ ، وإِلَيْكَ حَاكَمْتُ ؛ فاغْفِرْ لي مَا قَدَّمْتُ ومَا أَخَّرْتُ ، ومَا أَسْرَرْتُ ومَا أَعْلَنْتُ . أَنْتَ المُقَدِّمُ وأَنْتَ المُؤَخِّرُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أو : لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ "(١) .

توطئة :

هذا الدعاء صح عن النبي ﷺ أنه كان يقوله إذا قام من الليل يتهجد ، وقيام الليل شعار الصالحين ، حين يقوم المرء في خلوة وعزلة من الناس عابدًا ضارعًا لله تعالى يدعوه ويناجيه ، وفي أوقات الصفاء صفاء الفكر والروح من الخواطر والشواغل يكون التجلي ، ويكون الخشوع ، وتأتي السكينة ، ويرتل القلب معاني الإيمان بأجلى بيان ، لا يفهمه إلا المحبُّون المتبتِّلون، ولا يلمس آثاره إلا الخاشعون المخبتون .

في مثل هذا الموقف كان الرسول المصطفى خليل الله وصفيُّه ﷺ يقف كل ليلة مصلِّيًا خاشعًا وهو يقول : " أفَلا أكُونُ عَبْدًا شَكُورًا "(٢). ولقد ترك لأمته ﷺ تراتيل من الذكر وتسابيح من المناجاة ما أجدرنا أن

(١) صحيح البخاري/ ٢٢٠ - ٢٢١ (ط دار السلام) كتاب التهجد ، باب التهجد بالليل ، ح ١١٢٠ .

(١) صحيح البخاري / ٢٢٢ كتاب التهجد ، باب قيام النبي ﷺ الليل ، ح ١١٣٠

نقف عندها ، نتعبد الله بها ، ونهيم في سمائها نستمطر الرضوان والرحمات من خالق البريَّات .

وبين يديَّ هذا الدعاء الجليل الذي كان الرسول ﷺ يبتهل به إلى الله تعالى كل ليلة ، وكثيرًا ما استوقفني جليل معانيه وروعة نظمه ، فآثرت الوقوف عنده أتأمل بلاغة البيان النبوي الكريم في البناء التركيبي للجملة الاسمية فيه بوجه خاص وسرها العجيب في هذا المقام .

في معنى الحديث :

موضوع الحديث الحمد والثناء على الله تعالى بما هو أهله ، ومن آداب الدعاء التي أدَّبنا الله تعالى بها ورسوله الكريم ﷺ البدء بالحمد والثناء والصلاة على الرسول ﷺ قبل السؤال .

وفي مقام كهذا المقام ، مقام الضراعة بين يدي الله ﷻوقت النزول الإلهي تتفتق أكمام المحامد ، وينتشر أريج الثناء على من له الملكوت والجبروت ذي الجلال والإكرام . هنا يقف الرسول ﷺ بنفس جياشة خاضعة لله في مقام العبودية الذي هو أشرف مقامات المخلوق بين يدي الخالق ، وتتوالى المحامد : " اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ..." . تنداح مشاعر العظمة للمولى ﷻ، الملك القيوم ، مدبر الأملاك والأفلاك ، لا يشغله شيء عن شيء ، واهب الهدى والنور ، الإله الحق الذي يقضي ويأمر بالحق .

وفي هذا الثناء والتمجيد لله سبحانه وتعالى تتجلى أصول الإيمان ، من الإيمان بالله ﷻوبأنبيائه عامة ورسوله محمد ﷺ خاصة ، وبوعده ووعيده ، والإيمان بالبعث والساعة ، والجنة والنار . تلك أصول الإيمان الكبرى التي ينبغي على المسلم أن يستحضرها وأن تكون على ذكرٍ منه دائمًا ، خاصة وهو يصفُّ قدميه بين يدي مولاه في ظلمة الليل البهيم ، حيث لا رقيب ولا حسيب سوى عالم السرِّ وأخفى ، الذي أحاط علمه بما وقر في القلب من إيمان خالص يصدِّقه وقوف العبد الذليل بين يديه رغبة ورهبة ، وتضرعًا وخشوعًا .

وإذ يقرُّ العبد بالإيمان وأركانه التي يقوم عليها لا يملك إلا أن يقرَّ ويعترف بأنه قد سلَّم نفسه إلى مولاه إيمانًا وتوكلاً، وإنابة وحكمًا ، لا يدعو سواه ، ولا يرجو إلاه ، فليقبل منه تلك الضراعة وذلك الدعاء ، وليغفر ذنبه ، ويستر زلته في قديم أو حديث .

والرسولﷺ حين يدعو ربه ويقول :" فاغفر لي ما قدمت وما أخرت " وهو مغفور الذنب فإنما يقول ذلك" للتواضع وهضم النفس والإجلال لله تعالى والتعظيم له ﷻ"[1] ، ومن جانب آخر فهو يقصد إلى "التعليم لأمته ليقتدوا به في أصل الدعاء والخضوع وحسن التضرع والرغبة والرهبة " [2]. ويجوز أن يقصد كلا الأمرين ، قال الحافظ شهاب الدين أحمد بن حجر (ت٨٥٢ هـ) : " والأولى أنه لمجموع ذلك ، وإلا لو كان للتعليم فقط لكفى فيه أمرهم بأن يقولوا " [3] .

بلاغة الجملة الاسمية في الحديث :

لقد اشتمل الحديث على ثلاثة أقسام رئيسة هي :

١- المقدمة (حمد وثناء) .

٢ - الموضوع (دعاء المسألة) .

٣ - الخاتمة (ثناء وتمجيد) .

وتتركز الجمل الاسمية في القسمين الأول والثالث ، وبلغت عدتها إحدى وعشرين جملة من جمل الحديث البالغ عددها تسعاً وعشرين .

وتتضح بلاغة الجملة الاسمية في إفادتها التوكيد ، وإذا كان التوكيد يأتي لاعتبارات عدة بحسب المخاطب أو المتكلم أو الموضوع ، فإن التوكيد في الحديث يمكن عدُّه من باب التوكيد للمتكلم ، ففيه دلالة على امتلاء النفس بالإيمان ، نفس جياشة مضطرمة المشاعر والأحاسيس ، تعبر في خشوع وضراعة عن العبودية المستكنَّة في المخلوق في كل

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني ٧ / ١٦٧

(٢) السابق ، الصفحة نفسها

(٣) فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ٣ / ٧

جوارحه لله ﷻ. ويمكن أن يكون التوكيد لأهمية الموضوع ، حيث مقام الدعاء والمناجاة ، حين يتوسل العبد بكل وسيلة لاستجلاب عفو الله تعالى ومرضاته ؛ ولهذا كانت الجملة الاسمية هي الأنسب في هذا المقام .

وتتعدد صور التوكيد في الحديث ، فهناك - علاوة على الجملة الاسمية - أسلوب القصر بصوره المختلفة ، والتكرار بأشكاله المتعددة ، بل إن الجملة الفعلية - على قلتها - تتداخل مع الاسمية لتعزز دلالة التوكيد فيها من خلال الفعل الماضي كما سيتبين .

وسنتناول هذه الأساليب بالدرس لنرى أثرها في تعزيز دلالة الجملة الاسمية على التوكيد في الحديث الشريف .

بلاغة القصر :

يغلب على النسيج التركيبي للحديث أسلوب القصر ، إذ استأثر بأربع عشرة جملة من الجمل الاسمية ، فضلاً عن الفعلية التي احتوت أيضًا على قصر ، وتنوعت طرقه ما بين تقديم المتأخر ، وتعريف طرفي الإسناد ، والنفي والاستثناء .

فأما تقديم المتأخر فنجده في تقديم المسند على المسند إليه ، وذلك في جملتين هما : (لك الحمد) و (لك ملك السموات والأرض ..) .

وللقصر بلاغته في قوله : (لك الحمد) ، تلك الجملة التي استهل بها الحديث وتكررت خمس مرات ، وإذا كان القصر يعني إثبات المقصور للمقصور عليه ونفيه عن كل ما عداه حقيقة أو ادِّعاء، أدركنا بلاغة هذا الأسلوب في هذا المقام ، حين تنطلق المحامد من قلب المؤمن الخاشع فيخص بها مولاه ذا الجلال والإكرام (اللهم لك الحمد ..) ، ليس هناك من يستحق الحمد سواه سبحانه وتعالى ، فهو مصدر الخير ، وواهب النور ، ومانح العطايا ، وأي حمد وثناء على المخلوق لا يعدُّ شيئًا ؛ لأن عطاء المخلوق من قِبَل الخالق ، وعطاء المخلوق يعتريه نقص ويكدِّره زواله ، ويكون بقدرٍ وحساب ، أما الخالق الكريم مالك الملك وصاحب الهيمنة والجبروت فيعطي عطاء غير ممنون وبغير حساب ، فهو المستحق للحمد والثناء وحده حقيقة ، قال شرف

الدين حسين بن محمد الطِّيبي (ت ٧٤٣ هـ) معلّلاً تخصيص الحمد باللهﷻ: " قوله : (**اللهم لك الحمد**) مفيد للتخصيص لتقديم الخبر...

فلما خصَّ الحمد بالله تعالى قيل له : لم خصصتني بالحمد ؟ فقال :لأنك أنت الذي تقوم بحفظ المخلوقات ، تراعيها ، وتولي كل شيء ما به قوامه ، وما يتنفع به ، ثم تهديه إليك بنور[١] هدايتك ؛ ليتوصل به إلى منافعه ، وأنت القاهر على المخلوقات لا مالك لهم سواك ،ولا ملجأ ولا منجى[٢] إلا إليك ، ثم المرجع والمآب في العاقبة إليك ،تجازيهم بما عملوا من المعاصي والطاعات بالثواب والعقاب " [٣].

أما قوله: (لك ملك السموات والأرض ...) فدلالة القصر فيه أتم ما يكون في نفي تملُّك أي مخلوق أيًّا كان لما بيده ، فهو وما يملك مُلْك للمالك سبحانه وتعالى الذي أكرمه بالخلق وأنعم عليه بما تحت يده من فيض عطائه ، فظنَّ جهلاً وغرورًا أنه مُلْكه حصَّله بكسبه أو أنه ﷻاختصَّه به لما يعلم من استحقاقه له فقال : ﴿ **إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ** ﴾ [الزمر : ٤٩] . لكن حين تتطامن النفس وينكسر القلب أمام جلال الله تعالى تظهر الحقائق ، ويردد اللسان بل القلب والجوارح كلها:(**لك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن**) .

ومما يقوي القصر في هذين الموضعين _ علاوة على التقديم _ وجود لام الاستحقاق في قوله : (لك ...)[٤]، ولام الجنس في قوله : (الحمد) ، وتوشحهما بالجملة الاسمية .

وقد ذكر فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦ هـ) أن لام الاستحقاق تحتمل وجوهًا كثيرة منها : " الاختصاص اللائق ، والملك ، والقدرة والاستيلاء ... فالحمد لله بمعنى أن الحمد لا يليق إلا به ، وبمعنى أن الحمد ملكه وملكه ، وبمعنى أنه هو المستولي على الكل

(١) في الأصل (بنورهم) ، والصواب ما أثبت
(٢) في الأصل (منجأ) ولعل الصواب ما أثبت
(٣) الكاشف عن حقائق السنن ٣ / ١١٣
(٤) ينظر : التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٦١

والمستعلي على الكل "[1] . أما (أل) التعريف فيرى كثير من العلماء أنها للجنس [2]، وجوَّز الرازي كونها محتملة للجنس (الاستغراق) أو العهد المعبر عنه بالماهية أو الحقيقة ، وقد بين هذا قائلاً : " قوله (الحمد لله)[3] إن قلنا بالقول الأول [أي الاستغراق] أفاد أن كل ما كان حمدًا وثناء فهو لله وحقه وملكه ... وإن قلنا بالقول الثاني [أي الماهية] كان معناه أن ماهية الحمد حق لله تعالى وملك له ، وذلك ينفي كون فرد من أفراد هذه الماهية لغير الله ، فثبت على القولين أن قوله (الحمد لله) ينفي حصول الحمد لغير الله " [4]، وهو رأي له وجاهته ، ويدل على بلاغة القصر في هذا المقام .

ونأتي إلى القصر بتعريف طرفي الإسناد فنجده في المواضع الآتية :

(أنت قيم السموات والأرض)
(أنت نور السموات والأرض)
(أنت ملك السموات والأرض)
(أنت الحق)
(وعدك الحق)
(أنت المقدم وأنت المؤخر)

وقوله: (**أنت قيِّم السموات والأرض**) تضمن من صفات الألوهية القيوميَّة " والقيِّم والقيَّام والقيُّوم بمعنى واحد ، وهو الدائم القيام بتدبير الخلق ، المعطي له ما به قوامه ، أو القائم بنفسه المقيم لغيره " [5]، وهذه الصفة لا تكون ولا تنبغي إلا لله ﷻ؛ فجميع الخلائق مفتقرة إليه ولا قوام لها بدونه ، وهو مستغنٍ عنها ﷻ؛ ولذلك يأتي البناء التركيبي ليقرر هذا المعنى ، فاسمية الجملة والقصر الذي تحقق فيها بتعريف

(١) التفسير الكبير ١ / ٢٢٠
(٢) ينظر مثلا : حاشية الجرجاني ١ / ٥٢
(٣) أي في سورة الفاتحة
(٤) التفسير الكبير ١ / ٢٢٠ وما بعدها
(٥) صحيح البخاري بشرح الكرماني ٦ / ١٨٢ .

طرفيها [١] يؤكد أن ثبوت القيومية لله تعالى واختصاصه بها ، فكان أهلاً للحمد والثناء بها .

وقوله: (أنت نور السموات والأرض) " أي منوِّرهما وبك يهتدي مَنْ فيهما " [٢] ، فليس هناك من يشركه تعالى في هذا الوصف على الحقيقة ، قال الطيبي : " وسُمِّي بالنور لِما اختصَّ به من إشراق الجلال ، وسبحات العظمة التي تضمحل[٣] الأنوار دونها ، ولِما هيَّأ للعالمين من النور ليهتدوا به في عالم الخلق ، فهذا الاسم على هذا المعنى لا استحقاق لغيره فيه ، بل هو المستحق له المدعوُّ به ... " [٤]، وأسلوب القصر بيِّن في هذه الدلالة .

وسرُّ التعبير بالنور لأنه اسم جامد أشبه المصدر في الاشتقاق ، " وبذلك كان الإخبار به بمنزلة الإخبار بالمصدر أو اسم الجنس في إفادة المبالغة " [٥].

أما قوله : (أنت مَلِك السموات والأرض) فالمقصود أنه المِلك المطلق ، " الذي يستغني في ذاته وصفاته عن كل موجود ، بل لا يستغني عنه شيء في شيء : لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في وجوده ، ولا في بقائه . بل كل شيء فوجوده منه أو مما هو منه ، وكل شيء سواه فهو له مملوك في ذاته وصفاته . وهو مستغنٍ عن كل شيء " [٦]، وكل مِلك سواه فملكه ناقص ومصيره إلى زوال ، ومُلْك زائل كلا مُلْكٍ أصلاً ، فيالله ما أصدق هذا الوصف ! (أنت ملك السموات والأرض) حقًّا وصدقًا .

وقوله (أنت الحق) " أي المتحقق الوجود الثابت بلا شك فيه " [٧]، وقال الإمام أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي (ت ٦٥٦ هـ) : "

---

(١) ذكر البلاغيون أن تعريف المسند أو المسند إليه بأل الجنسية يفيد الحصر ، وكذلك التعريف بالإضافة ، فقد ذكر السبكي أنه يفيد الحصر " من جهة ما دلَّ عليه من استغراق الإضافة ". (عروس الأفراح ٢ / ٩٥) .

(٢) فتح الباري ٣ /٦ .

(٣) في الأصل (يضمحل) ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٤) الكاشف ٣ / ١١١ نقلا عن الشيخ التوربشتي .

(٥) التحرير والتنوير ١٨ / ٢٣١.

(٦) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي/ ٤٥ .

(٧) فتح الباري ٣ / ٦ .

" وهذا الوصف لله تعالى بالحقيقة والخصوصية لا ينبغي لغيره ؛ إذ وجوده لنفسه ، فلم يسبقه عدم ، ولا يلحقه عدم ، وما عداه مما يقال عليه هذا الاسم مسبوق بعدم ، ويجوز عليه لحاق العدم ، ووجوده من مُوجده لا من نفسه ... " (١).

والقصر في هذه العبارة وفي الأخرى (ووعدك الحق) بتعريف المسند إليه بأل الجنسية ، قال الطيبي معلّلاً تعريف (الحق) في الموضعين وتنكيره في البواقي : " لا منكر سلفًا ولا خلفًا أن الله هو الحق الثابت الدائم الباقي ، وما سواه في معرض الزوال ... وكذا وعده مختص بالإنجاز دون وعد غيره "(٢)، ونقل شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني (ت ٧٨٦ هـ) عن الطيبي أن التعريف للحصر (٣).

وعلى غراره أيضًا جاء القصر في قوله :(أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر) ، فالتقديم والتأخير من صفاته ﷻ سواء كان كونيًا " كتقديم بعض المخلوقات على بعض وتأخير بعضها على بعض ، وكتقديم الأسباب على مسبباتها والشروط على مشروطاتها " (٤) أم شرعيًا كتفضيل الأنبياء على الخلق ، وتفضيل بعض العباد على بعض ، وتقديمهم في العلم ، والإيمان ، والعمل ، والأخلاق ، وسائر الأوصاف ، وتأخير مَنْ تأخر بشيء من ذلك تبعًا لحكمته (٥).

ومن القصر أيضًا ما جاء في خاتمة الحديث (لا إله إلا أنت ، لا إله غيرك) ، وإذا كان من طبيعة أسلوب النفي والاستثناء أنه يأتي فيما يتأتى فيه شك وإنكار أو ما هو في حكم المشكوك فيه كما ذكر عبد القاهر (٦)، فإن هذا يدفعنا للتساؤل عن مجيئه هاهنا وليس ثم شك أو إنكار ؛ ولعل السبب في ذلك - والله أعلم - استشعار المسلم وهو يفوض الأمر كله لله تعالى أنه الإله الحق الذي يملك وحده إجابة الدعاء ، وبيده

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ٢ / ٣٩٨ .
(٢) الكاشف ٣ / ١١٣ .
(٣) ينظر : صحيح البخاري بشرح الكرماني ٦ / ١٨٣ ، ولم أجد في شرح الطيبي إشارة إلى ذلك ، وإنما عبارته المذكورة في المتن أعلاه ، لكن فحوى عبارته يدل على القصر .
(٤) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين لعبد الرحمن بن ناصر السعدي السعدي /٥١ .
(٥) السابق /٥١ وما بعدها بتصرف يسير .
(٦) ينظر الدلائل / ٣١٥ ، ٣١٧ .

وحده تقرير مصائر العباد ، وقبول طاعتهم وعبادتهم ، وإجابة سؤلهم ، وإذا توجه الناس إلى غيره ممن يتوسمون فيه تحقيق مطالبهم وقضاء حاجاتهم، فإن المؤمن الحق لا يرى سواه سبحانه الملجأ والمآل ؛ ولهذا جاءت الخاتمة بهذا الأسلوب القوي الذي يقرر قوة الإيمان في نفس المؤمن الصادق .

والأرجح أن القصر في تلك المواضع حقيقي ؛ إذ المقام يقتضيه ، فامتلاء نفس المؤمن بالإيمان يجعله يقرر الحقائق كما هي في عالم الغيب والشهادة ، فالملِك الحق صاحب الهيمنة والقيومية هو الله ﷻ، وجوز الشيخ ابن عاشور - رحمه الله- أن يكون القصر مجازيًا (ادعائيًا)[1] لعدم الاعتداد بغيره من المخلوقين لنقصان كمالاتهم [2] .

وهكذا تتضح بلاغة القصر فيما سبق في الدلالة على تفرد الله ﷻ بصفات الجلال والكمال والعظمة والكبرياء الدالة على " القدرة الكاملة ، والمشيئة النافذة والحكمة الشاملة التامة "[3]، وأنها لا تأتي في المخلوقين إلا على نقص وعجز ، ومآلها إلى زوال وعدم ، ومن ثم نجد تتابع الأوصاف في مقام الابتهال والمناجاة لما تحمله من التفخيم والتعظيم والتمجيد لله جلاله .

ومجيء القصر في إطار الجملة الاسمية يدل على تقرر هذه المعاني ورسوخها في نفس المؤمن المتبتل الذي يستشعر معاني التعظيم والإجلال لمولاه الذي أكرمه بالوقوف بين يديه ، ويستروح الأنس به والتلذذ بمناجاته .

بلاغة التكرار :

مما يميز البناء التركيبي أيضًا أسلوب التكرار ، مما يدفعنا للوقوف عنده نستجلي دلالته وبلاغته في هذا المقام .

والتكرار من السمات الجمالية للعمل الأدبي ، بل " هو أمر لازم في لغة البشر " كما يرى بعض الباحثين [4]، وهو" من أعمق ظواهر

(١) القصر المجازي تسمية أستاذنا الكريم الدكتور محمد أبو موسى ، وهي أليق ببلاغة القرآن الكريم والسنة المطهرة .

(٢) ينظر : تفسير التحرير والتنوير ٢٧ / ٣٥٨ ، ٢٨ / ٢٦١ .

(٣) شرح أسماء الله الحسنى لسعيد بن علي القحطاني /١٩٥ .

(٤) التكرير بين المثير والتأثير لعز الدين علي السيد / ٤ .

الحياة "عند آخرين [١]، فالإنسان يطرب لسماع الكلمة تتردد عليه من فِيه أو من غيره ، كما أن فيه استمالة للسامع وحملاً له على الإصغاء وامتلاكًا لقلبه [٢] ، لما يضفيه على الكلام من قيمة صوتية ومعنوية .

ويكون للتكرار تأثيره الجمالي إذا انضم إليه عنصر التنويع ، فمجموعهما يحقق التوازن بين أجزاء العمل الأدبي ، وبه يحصل الانسجام الذي يجعل للكلام موقعًا حسنًا في نفوس متلقيه[٣]، فضلاً عن منشئه .

وفي ضوء ذلك يمكن أن ننظر إلى التكرار في الحديث الشريف ، فقد توفر فيه من عنصري الوحدة والتنويع ما أكسبه قيمة جمالية ، وهناك صورتان للتكرار فيه هما :

١- تكرار الصيغ ، ويتناول تكرار الأنماط في الجمل الاسمية والفعلية .

٢- تكرار الألفاظ ، وهو تكرار ألفاظ بعينها .

أولاً : تكرار الصِيَغ :

تميز البناء التركيبي بتناسق جمله وتراكيبه في منظومة رائعة تناغمت فيها القيم التعبيرية والشعورية مع الجو العام وموقف الضراعة والابتهال المبلل بأنداء الخشوع والسكينة في هدأة الليل الساجي ، فقد توزعت أنماط الجمل الاسمية والفعلية فيه على النحو الآتي :

القسم الأول ، المقدمة ، واحتوت على :

أ - ثناء وتمجيد (جمل اسمية)

ب - حمد وإقرار (جمل اسمية)

القسم الثاني ، الموضوع / دعاء المسألة ، واشتمل على :

أ - إقرار واعتراف (جمل فعلية)

ب- دعاء واستغفار (جمل فعلية)

القسم الثالث ، الخاتمة ، واحنوت على :

ثناء وتمجيد (جمل اسمية)

---

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها لعبد الله الطيب ٢ / ٣٩ .

(٢) ينظر : التكرير / ٧٩ ، ٨٦ .

(٣) ينظر : المرشد ٢ / ٣٩ .

وهذا التقسيم البديع له مغزاه ، ففي مقام الحديث عن الألوهية وما يتعلق بها من صفات الجلال والكمال جاءت الجملة الاسمية مناسبة للمقام ، لما تفيده من الثبوت والدوام ، علاوة على القصر الذي يفيد التوكيد وثبوت الأوصاف لله تعالى ونفيها عن غيره .

وفي مقام العبودية وما يتعلق بها من أفعال العبد جاءت الجملة الفعلية التي تفيد التجدد ، ودلت الأفعال فيها على ما ينبغي أن يقوم به العبد من فعلٍ يصدِّق إيمانه ، إذ الإيمان قول واعتقاد وعمل . ولهذا أيضًا نجد في جانب الحديث عن الاعتقاد استخدمت الجملة الاسمية (أنت الحق ، ووعدك الحق ...) لأن الاعتقاد ينبغي أن يكون راسخًا لا يزول ولا يتغير .

وشيء آخر نلحظه في هذا التقسيم وهو أن المقدمة بشقيَّها تعدُّ من وسائل تحقيق المطلوب [1] ، وهو دعاء المسألة في القسم الثاني ، فناسب أن تأتي الجملة الاسمية في هذا السياق .

وقد جاءت الجمل الفعلية على النمط التالي (متعلق + فعل ماض) :

(لك أسلمت ، بك آمنت ، عليك توكلت ، إليك أنبت ، بك خاصمت ، إليك حاكمت) ،وهي بهذا تفيد القصر ، قال الكرماني: " وقدم مجموع صلات هذه الأفعال عليها إشعارًا بالتخصيص وإفادة الحصر "[2] ، فمجيء القصر لإثبات العبودية الحقة لله تعالى ونفيها عن غيره ، وصيغة الفعل لإفادة الحدوث ، وكونه ماضيًا للإشارة إلى فرط الاعتناء بحدوث هذه الأمور وإبرازها في صورة المتقرر الحاصل ، مما يعزز التوكيد في هذا المقام .

وتنفرد الجملة الدعائية **(فاغفر)** بعدم تكررها ، وما ذلك ـ والله أعلم ـ إلا لأنها المحور والمطلب الرئيس من وراء ذلك الدعاء الخاشع .

أما أنماط الجملة الاسمية فنجد في المقدمة نمطين هما :

(١) ينظر : الكاشف ٣ / ١١٣ .
(٢) صحيح البخاري بشرح الكرماني ٦ / ١٨٣ .

١- النمط الطبعي (المسند إليه معرفة + المسند معرفة / نكرة)
٢ -نمط العدول عن الأصل (المسند / متعلق + المسند إليه معرفة / نكرة)

وجاء هذا النمط في جملتين إحداهما مكررة (لك الحمد / لك ملك السموات والأرض) ،كما وقع في بداية كل من جزأي الجملة، وكأن اختلاف الأنماط فيه تنبيه وتهيؤ للانتقال من فكرة إلى أخرى .

والجمل في هذا القسم تدل دلالة بينة على التوكيد ؛ لِما اكتنفها من قصر بجميع صوره كما سبق بيانه ، بل إن الجمل الاسمية ذات المسند إليه النكرة تترجح دلالتها على التوكيد باعتبار دلالة السياق العام ، ويدعم هذا قول الكرماني: " المعرَّف باللام الجنسي والنكرة - المسافة قريبة بينهما ، بل صرَّحوا بأن مؤداهما واحد ، لا فرق إلا بأن في المعرفة إشارة إلى أن الماهيَّة التي دخل عليها اللام معلومة للسامع ، وفي النكرة لا إشارة إليه ، وإن لم تكن إلا[١] معلومة له ... "[٢]، فضلاً عما تفيده النكرة من التفخيم والتعظيم في هذا المقام[٣] .

ونأتي إلى القسم الثالث (الخاتمة) لنجد نمطين للجملة الاسمية :

- مسند إليه / ضمير + مسند / اسم فاعل
- أسلوب النفي والاستثناء

وقد جاء النمط الأول في قوله : (أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر) ، أما الآخر فتفردت به جملة القصر: (لا إله إلا أنت / لا إله غيرك) ، فتميزت الخاتمة بهذه الصيغة التي لم تتكرر في الحديث ، وهي على إيجازها أجملت ما جاء في المقدمة ، كما تميز الحديث بالاستهلال بأفضل الدعاء والختم بأفضل الذكر ، وبهذا تم التناسق والانسجام في البدء والختام .

وهكذا نجد الوحدة في تكرار الصيغ في كل من الجمل الاسمية والفعلية ، والتنويع في اختلاف الألفاظ والمضامين فيها ، مما كان له أثره في تحقيق الانسجام الصوتي والمعنوي في الحديث الشريف .

---

(١) كذا وردت في الأصل ولعلها زائدة .
(٢) السابق ، الصفحة نفسها .
(٣) ينظر : الكاشف ٣ / ١١٣ .

ثانيًا : تكرار الألفاظ :

وقد تكررت ألفاظ بعينها أسهمت في إضفاء مزيد من التناغم الصوتي على الحديث ، ويكاد القسم الأول ينفرد بهذا النوع من التكرار . فنجد جملة (لك الحمد) التي تكررت في مستهل الحديث عن كل صفة من صفات الألوهية التي تضمنت إنعام الله تعالى على عباده ، وله الحمد والمنة ، قال الطيبي : " وتكرير الحمد المخصَّص للاهتمام بشأنه ، ولينـاط به كل مرة معنى آخر "[1] .

ثم نجد التكرار في (أنت قيم السموات والأرض / أنت نور السموات والأرض / أنت ملك السموات والأرض) واختلفت عنها يسيرًا (لك ملك السسموات والأرض) .

كما تكرر لفظ (الحق) في قوله : (أنت الحق ... إلخ) ، وبالرجوع إلى الدلالات اللغوية لهذا اللفظ نلحظ تغاير المعنى في كل موضع ، فقد ذكر أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) أن (الحق) يقال على أوجه[2] :

الأول ، "يقال لمُوجِد الشيء بسبب ما تقتضيه الحكمة ، ولهذا قيل في الله تعالى هو الحق " ، وهو ما نجده في الحديث في قوله : (أنت الحق) .

الثاني ، " يقال للمُوجَد بحسب مقتضى الحكمة ، ولهذا يقال : فعل الله تعالى كله حق " ، ومنه في الحديث : (الجنة حق ، والنار حق ، والساعة حق ، والنبيون حق ، ومحمد ﷺ حق) .

الثالث ، في الاعتقاد للشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه ، كقولنا : اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق ، ولا شك أن ترديد المؤمن لهذا الحديث داخل في هذا المفهوم .

الرابع ، للفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب وفي الوقت الذي يجب ، كقولنا : فعلك حق وقولك حق ، ومنه في الحديث : (وعدك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق) .

---

(١) السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) المفردات / ١٢٥ ، مادة (حق) بتصرف يسير .

وبهذا يتضح أن لفظ (الحق) على تكراره قد أعطى دلالة مغايرة في كل موضع . وقد ذكر شرَّاح الحديث أن هذا التكرار " للمبالغة في التأكيد " [١].

ولكن : ماذا عن القيمة البلاغية للتكرار ؟

لقد جعل البلاغيون قديمًا التأكيد من أغراض التكرار ، وذكر الشرَّاح أن من دواعي التكرار في الحديث " الاهتمام " و" المبالغة في التأكيد " ، و " التفخيم والتعظيم "[٢] وكأنهم نظروا إلى جانب المعنى لكونه الغاية والمناط .

ولكن المعاصرين نظروا إلى التكرار في العمل الأدبي من جانب آخر ، وما يثيره في النفس من شحنات عاطفية تثير انفعال المتلقي للتجاوب مع النص ، ومن ثم نجد الدكتور عبد الله الطيب المجذوب يقول في ذلك : " الغرض الرئيسي من التكرار هو الخطابة ، ونعني بالخطابة أن يعمد الشاعر إلى تقوية ناحية الإنشاء (أي ناحية العواطف كالتعجب ، والحنين ، والاستغراب ، وما إلى ذلك) عن طريق التكرار "[٣]، ولهذا فإن التكرار قد يراد به تقوية النغم ، وقد يراد به تقوية المعاني الصورية أي الصورة الإجمالية والمعاني العامة للنص ، أو المعاني التفصيلية التي يمكن من خلالها تحقيق المعنى الإجمالي للنص [٤] .

ويمكن أن ننظر إلى الحديث الكريم في ضوء هذا المنظور لنرى الجانب الخطابي عاليًا فيه ، وهو يستجيش المعاني الإيمانية في وجدان المسلم ، حين يستشعر ذله وخشوعه بين يدي الله ﷻ، ويسكب ضراعته أمامه مخبتًا منيبًا ، وهو يحس بمعاني الهيبة والجلال والعظمة والقهر والكبرياء لله ﷻ، وهو العبد الذليل الخانع في سكينة واستسلام بين يدي مولاه . وما أبلغ كلام الإمام الطيبي رحمة الله عليه

(١) ينظر : فتح الباري ٣ / ٧ ، عمدة القاري ٧ / ١٦٧
(٢) المفهم ٢ / ٣٩٨
(٣) المرشد ٢ / ٤٥
(٤) ينظر : السابق ٢ / ٤٥ ، ٧٢ - ٧٣ حاشية ١١٦

وهو يقارن بين المقامين : مقام الألوهية ومقام العبودية ، ويتملَّى صورة المصطفى ﷺ بينهما ، قال معقبًا : " وهاهنا سرٌّ دقيق ونكتة سرية : وهي أنه ﷺ لمَّا نظر إلى المقام الإلهي، ومقربي حضرة الربوبية ، عظم شأنه ، وفخم منزلته ، حيث ذكر النبيين ، وعرَّفها باللام الاستغراقي ثم خص محمدًا ﷺ من بينهم ، وعطف عليهم إيذانًا بالتغاير ، وأنه فائق عليهم بأوصاف مختصة به ، ... ثم حكم عليه استقلالاً بأنه حق وجرَّده من ذاته كأنه غيره ، ووجب عليه تصديقه . ولمَّا رجع إلى مقام العبودية ونظر إلى افتقار نفسه : نادى بلسان الاضطرار في مطاوي الانكسار **: (اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت)** ، فإن الإسلام هو الاستسلام وغاية الانقياد ، ونفي الحول والقوة إلا بالله ..."[1] .

ففي هذا المقام يطيب للمسلم أن يناجي مولاه الخالق بأعذب كلام ويتملَّقه بأطيب ثناء ، إن المرء ليحسن صوغ كلامه وتنميقه وهو يقدمه إلى كبير عالي القدر مخلوق مثله أملاً في أن يجد زلفى وقبولاً لديه ، فكيف _ ولله المثل الأعلى _ برب العباد وخالقهم ومالكهم ؟ ومن أولى منه بالثناء ؟ ومن أحب إليه المدحة أكثر منه ؟ فكيف إذا توشح هذا الثناء بالحمد وهو أفضل الدعاء ؟ وأحسن العبد في أدائه والتوسل به وألحَّ في رفعه إلى الله الذي يحب الملحين في الدعاء ؟ وهو أكرم الأكرمين وأجود المعطين لا يردُّ سائلاً ولا يخيب راجيًا .

لهذا نجد أن القيمة المعنوية للتكرار عالية جدًّا في الحديث الشريف ، وهو يؤكد على عمق الإيمان وحرارة العاطفة وقوتها وصدق اللجأ إلى الله تعالى والتوجه إليه . أما القيمة الصوتية فلها أثر في ترطيب المشاعر والأحاسيس المؤمنة بأنداء وارفة الظلال من الابتهال والمناجاة التي تضفي على النفس السكينة والطمأنينة ، ويذوق معها القلب حلاوة الإيمان والأنس بالله والرضى به ربًّا وخالقًا .

ما الذي يرجح دلالة الجملة الاسمية على التوكيد ؟

---

(١) الكاشف ٣ / ١١٤ .

من العرض السابق اتضحت بلاغة الجملة الاسمية وما لها من أثر في إقامة البناء التركيبي ، كما تبين بشكل جلي أنها تفيد التوكيد وتقرير المعاني التي تضمنها الحديث فضلا عن تأثيرها القوي في النفس .

ومما رجح دلالة الجملة الاسمية في الحديث على التوكيد :

١- اقتضاء المقام ، فكما سبق أن المقام هو مقام الابتهال والمناجاة لله تعالى بدعاء خاشع يقرر معاني عبودية المخلوق للخالق .

٢- دلالة الجملة الاسمية على الثبوت والاستقرار الملائم للمقام لما فيه من ثبوت المحامد لله تعالى ودوام أوصاف الجلال والكمال له سبحانه على النحو الذي يليق به ويتفرد به عن سواه .

٣- وجود المؤكدات ، وأبرزها القصر والتكرار كما سبق بيانه .

٤- وجود المشتقات ، ففي الحديث عدد من المشتقات التي تقوي جانب التوكيد في الجملة الاسمية كالمصدر واسم الفاعل .

لهذا كله تعززت دلالة الجملة الاسمية في الحديث على التوكيد ، والله أعلم وأكرم .

* * *

خاتمة :

من العرض السابق لآراء البلاغيين حول إفادة الجملة الاسمية التوكيد نصل إلى الإجابة عن التساؤلات التي طرحت في مقدمة البحث ، وهي :

١- أن الجملة الاسمية تفيد التوكيد .

٢- وأن السرَّ في توكيدها يعود إلى دلالتها على الثبوت والاستقرار .

٣- وأنها أقوى من الفعلية في الدلالة ، ولذا يكثر استخدامها في المواضع المقتضية لها كمواضع الشك والإنكار ونحوها وفي المسائل المهمة .

٤- وأنها لكي تكون مؤكدة لابد من اشتمالها على بعض الضوابط ، وهي :

أ - اقترانها بمؤكد .

ب - اقتضاء المقام .

ج - كونها معدولة عن الفعلية .

د -تقديم المسند إليه على المسند الفعلي.

والله تعالى أعلى وأعلم .

وبعد : فهذا أوان الحمد ، فالحمد لله أولاً وآخرًا كما يحب ربنا ويرضى ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

* * *

المصادر والمراجع:

- ابن الأثير ، ضياء الدين محمد بن محمد
المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق : بدوي طبانه وأحمد محمد الحوفي ، دار الرفاعي ، الرياض ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- الإسكندري ، ناصر الدين أحمد بن المنيِّر
كتاب الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال ، على هامش الكشاف ، دار الفكر ، د. ب ، د. ط ، د.ت .
- الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد
المفردات في غريب القرآن ، تحقيق وضبط : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، د . ط ، د . ت .
- البابرتي ، أكمل الدين محمد بن محمد
شرح التلخيص ، دراسة وتحقيق : محمد مصطفى رمضان صوفية ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس _ ليبيا ، ط ١ ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٨٣ م .
- البحراني ، كمال الدين بن ميثم
أصول البلاغة ، تحقيق : عبد القادر حسين ، دار الشروق ، القاهرة وبيروت ، د. ط ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل
صحيح البخاري ، باهتمام :عبد المالك مجاهد ، دار السلام ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- البركاوي ، عبد الفتاح عبد العليم
دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث : دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق ، دار المنار ، القاهرة ، ط١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .
- البغدادي ، إسماعيل باشا
هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، مكتبة المثنى ، بغداد ، عن طبعة وكالة المعارف باستانبول ، ط ١٩٥٢ م .
- البغدادي ، عبدالقادر بن عمر
خزانة الأدب
- التفتازاني ، سعد الدين مسعود بن عمر
المختصر على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ، ضمن مجموعة شروح التلخيص ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ط، د . ت .

المطول في شرح تلخيص المفتاح ، وبهامشه : حاشية المير سيد شريف ، المكتبة الأزهرية للتراث ، مطبعة أحمد كامل ، ١٣٣٠ هـ .

-التنوخي ، أبو عبد الله محمد بن محمد
الأقصى القريب في علم البيان ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط ١ ، ١٣٢٧ هـ .

الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن
دلائل الإعجاز ، تحقيق : محمد رضوان الداية وفايز الداية ، مكتبة سعد الدين ، دمشق ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

-الجرجاني ، السيد الشريف علي بن محمد
حاشية الجرجاني على الكشاف ، على هامش الكشاف ، دار الفكر ، د . ب ، د. ط ، د . ت .

- ابن جني ، أبو الفتح عثمان
المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تحقيق : علي النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار سزكين للطباعة والنشر ، ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م

- الجويني ، مصطفى الصاوي
البلاغة والنقد بين التاريخ والفن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، د . ط ١٩٧٥ م .

- ابن حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله الشهير بكاتب جلبي
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، عني بطبعه وتصحيحه وتعليق حواشيه وترتيب الذيول عليه : محمد شرف الدين يالتقايا ورفعت بيلكه الكليسي ، مكتبة المثنى ، بيروت ، د. ط ، د. ت.

- حسان ، تمام
الأصول : دراسة ايبستمولوجيةلأصول الفكر العربي ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

- حسين ، عبد القادر
فن البلاغة ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .

- الحلبي ، أحمد بن يوسف المعروف بالسمين
عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ : معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم ، تحقيق وتعليق : محمد التونجي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .

- الخفاجي ، شهاب الدين أحمد بن محمد

حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي ، دار صادر بيروت ، د . ط ، د . ت .
- الدسوقي ، محمد بن عرفة
حاشية الدسوقي على شرح السعد ، ضمن مجموعة شروح التلخيص ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ط ، د . ت .
- الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر
التفسير الكبير ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ٣ ، د. ت .
نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، تحقيق ودراسة : بكري شيخ أمين ، دار العلم للملايين بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٥ م .
-الرضي ، نجم الدين محمد بن الحسن الأستراباذي
شرح الرضي على الكافية ، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، د. ط ، د. ت .
-زاده ، محيي الدين محمد بن مصطفى
حاشية محيي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت د . ط ، د . ت .
-الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله
البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : يوسف المرعشلي وجمال الذهبي وإبراهيم الكردي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .
- الزركلي ، خير الدين
الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٧٩ م .
- الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر
الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، وبهامشه كتاب الإنصاف لابن المنيِّر وحاشية الشريف الجرجاني ، دار الفكر ، د . ب ، د . ط ، د . ت .
- ابن الزملكاني ، عبد الواحد بن عبد الكريم
التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن ، تحقيق وتعليق : أبو القاسم عبد العظيم إدارة البحوث الإسلامية والدعوة والإفتاء بالجامعة السلفية ، بنارس _ الهند ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
-السبكي ، بهاء الدين أحمد بن علي
عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، ضمن مجموعة شروح التلخيص ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ط ، د . ت .

- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر
الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية ، مكتبة المعارف الرياض ، طبعة جديدة ، د . ط ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
-السكاكي ، أبو يعقوب يوسف بن محمد
مفتاح العلوم ، ضبطه وشرحه : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
-سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر
الكتاب : كتاب سيبويه ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، عن طبعة مكتبة الخانجي ، القاهرة .
- السيد ، عز الدين علي
التكرير بين المثير والتأثير ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا _ بيروت ، د . ط ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ، وبهامشه : حلية اللب المصون على الجوهر المكنون ، للشيخ أحمد الدمنهوري ، دار الفكر ، د . ب ، د. ط ، د . ت ، عن طبعة : رستم مصطفى الحلبي ، القاهرة ، ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م .
- الشنقيطي ، سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم
فيض الفتاح على نور الأقاح ، إشراف : محمد الأمين بن محمد بيب ، د . ب ، ط ٢ ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .
-الصعيدي ، عبد المتعال
بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ط ١٢ ، ١٤٢٠ _ ١٤٢١ هـ / ١٩٩٩ _ ٢٠٠٠ م .
- الطيبي ، شرف الدين حسين بن محمد
شرح الطيبي : مشكاة المصابيح المسمى بالكاشف عن حقائق السنن ، حقق نصوصه وقابل نسخه الخطية : المفتي عبد الغفار ونعيم أشرف وآخرون ، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، باكستان ، ط١ ، ١٤١٣ هـ .
-ابن عاشور ، محمد الطاهر

تفسير التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٨٤ م .
- ابن عربشاه ، عصام الدين إبراهيم بن محمد
الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ، تحقيق وتعليق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١ م .
- عرفة ، عبد العزيز عبد المعطي
من بلاغة النظم العربي : دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م .
- العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن حجر
فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه وتحقيقه : محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .
- العلوي ، يحيى بن حمزة
الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د. ط ، د. ت .
-ابن عميرة ، أبو المطرف أحمد
التنبيهات على ما في التبيان من التمويهات ، تقديم وتحقيق : محمد بن شريفة ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م .
- العيني ، بدر الدين محمود بن أحمد
عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، دار الفكر ، د . ب ، د .ط ، د . ت .
-الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد
المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، ضبطه وخرج آياته : أحمد قباني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ط ، د . ت .
- ابن فارس ، أبو الحسين أحمد
الصاحبي ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة د . ط ، د . ت .
- أبو الفتوح ، محمد حسين
أسلوب التوكيد في القرآن الكريم ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٥ م .
- فرج ، نزيه عبد الحميد السيد
نقد كتاب التنبيهات لابن عميرة ، دار الفتح للإعلام العربي ، القاهرة ، د . ط ، د .ت .
- الفيروزأبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب

القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، د . ب ، ط ٣ ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م .
-ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم
الشعر والشعراء ، طبعة محققة ومفهرسة ، [علق عليه : محمد يوسف نجم وإحسان عباس] ، دار الثقافة ، بيروت ، د . ط ، د. ت .
- القحطاني ، سعيد بن علي
شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة ، الناشر المؤلف ، ط ٤ ، ١٤١٥ هـ .
-القرطبي ، أبو العباس أحمد بن عمر
المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، تحقيق : محيي الدين مستو وآخرين ، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب ، دمشق وبيروت ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م .
- القزويني ، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن
الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح وتعليق وتنقيح : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل بيروت ، ط ٣ ، د . ت .
التلخيص في علوم البلاغة ، ضبطه وشرحه : عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٢ ، [١٣٥٠ هـ / ١٩٣٤ م] .
- الكرماني ، شمس الدين محمد بن يوسف
صحيح أبي عبد الله البخاري بشرح الكرماني ، المطبعة المصرية ، ط ١ ، ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م .
- الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى
الكليات : معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، قابله على نسخة خطية وأعده للطبع ووضع فهارسه : عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
-لاشين ،عبد الفتاح
المعاني في ضوء أساليب القرآن ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٣ مزيدة ومنقحة ، ١٩٧٨ م .
- المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد
المقتضب ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٣٨٨ هـ .
- المجذوب ، عبد الله الطيب
المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ط ١ ، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .

- المرشدي ، عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد
شرح عقود الجمان في المعاني والبيان ، وبهامشه : شرح عقود الجمان لجلال الدين السيوطي ، مكتبة ومطبعة الحلبي ، مصر ، ط ٢ ، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .
- المطرزي ، أبو الفتح ناصر الدين بن أبي المكارم
بيان الإعجاز في سورة (قل يا أيها الكافرون) ، تحقيق وتعليق : حمد بن ناصر الدخيل الناشر : المحقق ، ط٢ مزيدة ومحققة ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٣ م .
-ابن المعتز ، عبد الله
طبقات الشعراء ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار المعارف ، مصر ، ط ٣ ، د . ت
- المغربي ، أحمد بن محمد بن يعقوب
مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ، ضمن مجموعة شروح التلخيص ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ط ، د . ت .
-أبو موسى ، محمد بن محمد
خصائص التراكيب : دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني ، مكتبة وهبة ، [مصر] ، ط ٢ ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- الهاشمي ، السيد أحمد
جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، ط ١ جديدة ومنقحة ومعدلة ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .
- ابن يعيش ،موفق الدين يعيش بن علي .
شرح المفصل ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، د . ط ، د . ت .

* * *